# البَراعَة العَصْرِيّة
هوديبي

# وَاللُّغَة العَرَبِيّة

تأليف

## سلامة موسى

حقوق الطبع محفوظة للناشر

« كل كلمة هي صورة الصورة ، رمز لأحد الأوهام »

أناطول فرانس

« إنها لفكرة رهيبة أن نقول إنه ليس هناك أحد ممتاز حقًا يستطيع أن يعرف ماذا يقصد . انظر إلى عظماء هذا العالم : ساسته . فاننا لا نناقش مايقولون بل ماذا كانوا يقصدون حين قالوا هذا القول أو ذاك »

جيمس بارى

« يفخر الصانع ويعنى بآلاته وأدواته . ولا يؤدى الجراح عملياته بموسى قديم . والرياضى يبحث وينقب فى لذة عن أدوات الرياضة كالمضرب أو البندقية أو غيرهما . ولكن الرجل الذي يعمل بالكلمات ، ما لم يكن قد احترف التأليف ، ( بل ليس هذا دائمًا ) ، يهمل اهمالاً عجيبًا فى اختيار أدواته . وهو لا يعرف أنه فى حالات كثيرة ، كلما قلت كلماته زادت قيمتها »

ايفور براون

« يفكر الناس فى إهمال لأنهم يكتبون فى إهمال . ويؤدى الاهمال إلى مخالفة الحقائق وإلى التعبير برطانة تضلل الناس والأمم فى سلوكهم وعقائدهم . أجل ، إن من أساء الكتابة فقد كذب »

الملحق الادبي لجريدة التيمس

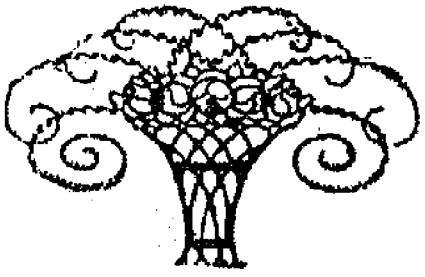

الى الأستاذ احمد امين

أهدى هذا الكتاب اليك

لأنك أنت الذى أوحيت الىّ

من حيث لا تدرى - بتأليفه

سلامة موسى

# مقدمة

كلنا نكتب الآن عن اللغة ، وكلنا نشعر بخطورة هذا الموضوع لأننا انتهينا ، بما نعرفه من اللغات الاوربية ، الى أن تأخرنا اللغوى فى مصر هو سبب من أعظم الاسباب لتأخرنا الاجتماعى . وقد كان الثقاب الذى أشعل هذا الموضوع فى وجداني وبعثنى على تأليف هذا الكتاب مقالا نشره الاستاذ احمد امين فى مجلة الثقافة فى صفحة ١٨ أوضح فيه ان معانى الكلمات تتغير حين يتغير الزمان أو المكان أى حين يتغير المجتمع الذى تستعمل فيه الكلمات . ويمكن القارئ أن يعد هذا الكتاب شرحًا وتعليقًا وتوسعًا فى معانى هذا المقال .

واللغة المثلى هى التى لا تلتبس كلماتها ولا تنساح معانيها ولا تتشابه عن بعد أو قرب . بل هي التى تؤدى المعانى فى فروق واضحة كالفروق بين رقمى ٥ و ٦ . ثم هى اللغة الثرية الخصبة التى يحتاج اليها المتمدنون . بل هى التى تتسع أيضًا لاختراع الكلمات الجديدة التى تتطلبها الحاجات النامية المتزايدة لهؤلاء المتمدنين .

وفى مصر طبقة من الكتاب حاولت ولا تزال تحاول استخدام اللغة العربية وسيلة من الوسائل الأدبية لاسترداد الأمس . بل ان عندنا من اللغويين من يتحدث عن اللغة العربية كما يتحدث المستشرقون الأوربيون عن اللغة السنسكريتية . ولكن مع فرق أصيل ، فان هؤلاء لا يحاولون إحياء الميت من الكلمات السنسكريتية ولكن أولئك يحاولون هذا الاحياء للكلمات العربية حين كان يجب عليهم ، لو كانوا على وجدان بالعصر الحديث ، أن يدفنوها . ومعظم هذه الطبقة يتألف من معلمى اللغة العربية فى مدارسنا .

وليس فى هذه الدنيا شيء هو أثمن من اللغة الحسنة . لأننا نفكر وننبعث بالكلمات . وسلوكنا فى البيت والشارع والحقل والمصنع هو قبل كل شيء سلوك لغوي . لأن كلمات اللغة تقرر لنا الأفكار والانفعالات وتعين لنا السلوك كما

لو كانت أوامر . بل نستطيع أن نقول إن سيـــادة البريطانيين على الهنود أو المتمدنين على المتوحشين هي إلى حد ما سيادة لغوية : أى مجموعة خصبة وافية من كلمات المعارف والاخلاق تحدث براعة فى الفن وتوجيهًا فى السلوك يؤديان إلى السيادة . . . وأحيانًا إلى العدوان .

وحين تحرم لغتنا من كلمات الثقافة العصرية تحرم أيضًا الأمة المعيشة العصرية . فنحن مازلنا نعيش بكلمات الزراعة ولما نعرف كلمات الصناعة.ولذلك فان عقليتنا عقلية قديمة جامدة متبلدة تنظر إلى الماضى . حتى أننا نؤلف فى ترجمة معاوية ابن أبي سفيان فى الوقت الذى كان يجب أن نؤلف فيه عن هنرى فورد عبرة الصناعة فى عصرنا . أو عن الذرة وعبرتها للمستقبل .

والدعوة إلى لغة عصرية هى فى صميمها دعوة إلى المعيشة العصرية . لأن الكاتب ، حين يستبيح اعتناق الكلمات العامية كما هي بلا ترجمة ، إنمـا هو فى الواقع يستبيح حضارة العلم والمنطق والرقى الصناعى ، بدلا من حضارة الآداب والعقائد والزراعة .

وواضح أن اللغة هي ثمره المجتمع الذى يتكلم أفرادها بها . ولـكن المجتمع أيضًا هو ثمرة اللغة التى تعين لأفراده بكلماتها سلوكهم الذهنى والعـاطفي . وقد التفت إلى عبارة قالها الأستاذ عباس محمود العقـاد بشأن الاشتراكيين فى مصر لها مناسبة هنا . إذ هم يدعون ، على غير ما يجب ، الى اللغة العامية . وقد حسب عليهم هذه الدعوة فى قائمة رذائلهم . لأنه هو يعتز بفضيلة اللغة الفصحى ويؤلف عن خالد ابن الوليد أو حسان بن ثابت . ولـكنه غفل عن التفسير لهذه الظاهرة الاجتماعية وهي أن الاشتراكيين شعبيون يمتـازون بالروح الشعبي ويعملون لتكوينه . وهم لهـــذا السبب أيضًا مستقبليون وليـوا سلفيين . ولذلك يحملهم احترامهم للشعب على إيثار لغته الحاضرة على لغـة السلف . فى حين هو سلفي الذهن فى لغته وأسلوبه وتفكيره وسلوكه .

وليس الأستاذ العقاد وحيداً فى هذه السلفية . لأني أعتقد أن ٩٠ بل ربما ٩٩ فى المئة من كتابنا سلفيون ، وهذه السلفيـة هي نتيجة لحرمان الأمة من الرقى الصناعى وقصرها على الزراعة وعرقلة بل عرقبة كل تقدم صناعى حاولته الأمة فى السنين الستين الأخيرة . لأن المجتمع الصناعى كان جديراً بأن يحدث مجتمعاً مستقبلياً يكتب مؤلفوه بلغة الشعب وتنتقل اهتماماتهم الذهنية من التأليف عن قدماء العرب إلى التأليف عن مشكلاتنا العصرية فى الأخلاق والتعليم والاقتصاد ومكافحة الفاقة . وإنى بالطبع لا أغفل هنا ارتباط اللغـة بالتقاليد والعقائد وأن هذا الارتباط من أسباب الكراهة للتطور اللغوى . أعنى أن العقلية الكلاسية فى اللغة . عقلية التقاليد التليدة ، قد أحدثت لنا مزاجاً أدبياً اجتماعياً هو النظر إلى الماضى ومحاولة استرداد الأمس والتبلد والتجمد فى الوقت الذى نحتاج فيه إلى أن نشق طريقنا إلى المستقبل .

وهذه هي إحدى الغايات التى قصدت من تأليف هذا الكتاب ولكن هناك غايات أخرى . فانى أردت أن أصل بالقارىء إلى تصور جديد للغـة من حيث نشأتها وتكونها إلى نضجها وما تحمل من رواسب تاريخيـة قد تعود علينا بالضرر لأنها كانت تخدم مجتمعاً ربما كانت فضائله معـدودة بين الجرائم فى سلوكنا العصرى . كما اني التفتُ إلى الضرر الفادح بتفكيرنا حين نستعمل كلمات ليست محكمة المعنى فلا تنعقد الصلة الحسنة بها بين الكاتب والقـارىء . وهذا كثير فى لغتنا وهو عقبة فى التفكير العلمى الدقيق . ولم أنس أن أُنبه القارى إلى أن بلاغتنا التقليدية التى تعلم لطلبتنا فى المدرسة والجامعة هى بلاغة الانفعال والعاطفة فى الوقت الذى نحتاج فيه إلى تأكيد المنطق والعقل . كما إنى توسعت فى شرح المعنى الذاتى والمعنى الموضوعى للكلمات . وهذا موضوع تخصب فيـه الالتباسات والشبهات فى المجـادلات السياسية أو العقيدية أو الاجتماعيـة . وقد مسست بعض الاصـلاحات المقترحة مثل إلغاء الاعراب واتخـاذ الخط اللاتينى

وأكثرت من المقارنات بين لغتنا واللغة الانكليزية لكي أبرز للقارىء عيوب لغتنا وإرهاقها للمتعلمين بقواعد وتقاليد لم تعد لها فائدة .

وبدهي أنه لو تفشى النظام الصناعى فى مصر لاستتبع ثقافة علمية وأدبًا مستقبليًا . وعندئذ يأخذ « التميع » فى اللغة مكان « التجمد » لأن جميع الظواهر الاجتماعية تنهض على أساس من النظام الاقتصادى . واللغة إحدى هذه الظواهر . ونحن بالطبع آخذون فى تعميم الصناعة في بلادنا على الرغم من العرقلة بل العرقبة التي تلاقيها مصانعنا من أولئك المسيطرين الذين يرون أنه لا يجوز لنا أن نعيش على هذا الكوكب إلا مزارعين وفلاحين ننتج القطن رخيصًا وفيرًا

ولكن ليس من المعقول أننا ، الذين تنبهنا وأصبحنا على وجدان بالرقى العصرى ، نسكت ونقول « دعنا من الكلام في رقى اللغة حتى يعمم النظام الصناعى وهو الكفيل بالتغير المنشود » إذ يجب أن نساعد على هذا الرقى بتجديد اللغة . وحسبنا من هذه المساعدة أن نشخص الداء ونومىء إلى الدواء ونتبه الغافلين ونصح المعاكسين .

وأعظم هؤلاء المعاكسين هم الذين تخصصوا في درس اللغة العربية مثل خريجى « دار العلوم » فان تخصصهم هذا قد حال بينهم وبين دراسات بشرية عديدة فضاقت أفاقهم وصاروا ينظرون إلى لغتنا كما لو كانت إحدى اللغات المتحجرة في المعابد لا ينبغى تغيير كلمة أو حتى أسلوب التعبير فيها أو خطها .

زد على هذا أنهم قد أصبحوا طبقة لهم وضع اقتصادي ووجدان طبقي ينهضان على استبقاء اللغة العربية في جمودها الحاضر . ولذلك يخشون التغيير ويرون فيه هجومًا على مصالحهم الاقتصادية . ولكن يجب أن نذكر أن مصلحة الأمة يجب أن تعلو على مصالح أية طبقة فيها .

وظني أنه حتى هؤلاء سيجدون في هذا الكتاب أفقاً جديداً يتجه إليه تفكيرهم .

وحسبي من تأليف هذا الكتاب التنبيه ، ثم المناقشة ، ثم العمل ؟

مارس ١٩٤٥

سلامة موسى

---

راجعت في مارس من ١٩٥٣ هذا الكتيب فزدت فيه فصلا عن « علاقة اللغة بالجريمة والجنون » . وأصلحت هنا وهناك بما اقتضته الظروف ، كما زدت فيه شروحاً وتعليقات ؟

سلامة موسى

obeikandl.com

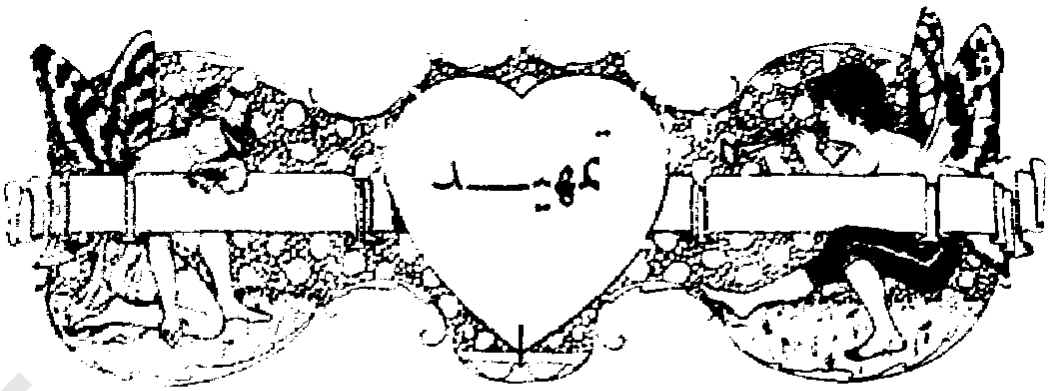


أعظم المؤسسات فى أية أمة هو لغتها . لأنها وسيلة تفكيرها ومستودع تراثها من القيم الاجتماعية والعادات الذهنية .

واللغات تتفاوت . فهي مجموعة صغيرة من الكلمات قد لاتزيد على ثلاثمئة كلمة عند احدى القبائل البدائية ، وهي قد تبلغ مئة ألف كلمة عند أمة متمدنة قد ارتفعت فيها الفنون والعلوم .

واللغة الراقية هي علم وفن وفلسفة . بمعنى أنه يمكننا أن ننظر اليها النظر العلمى ، فنبحث أصولها ، ونميز بين معانيها ، بل نضع الكلمات الجديدة لتأدية المعنى الجديد . ويمكننا أن ننظر إليها النظر الفنى ، فننشد بالكلمات والجمل رفاهية ذهنية لا تؤديها الدقة العلمية. وكذلك يمكننا أن ننظر إليها النظر الفلسفى ، فنضع الكلمات الجديدة أو نكسب الكلمات القديمة معانى جديدة تؤدى بعد ألفتها فى المجتمع إلى حال منشودة من الخير .

وغاية اللغة قبل كل شىء هي الفهم . ولم نصل بعد إلى اللغة المثلى ، بل نحن لا نكاد نعرف كيف تكون ، إذا جعلنا الفهم أول غاياتها . فقد وصلنا فى العدد إلى الأرقام الهندية فكانت أعظم خطوة لغوية فى الحساب والعلوم . فهل نستطيع يوماً ما أن نصل فى سائر الموضوعات إلى لغة تنقل إلينا الفكرة الفنية أو العلمية أو الفلسفية بمثل الدقة والسهولة اللتين ننقل بهما إلى أذهاننا عدد الألف أو المليون . . . ؟

وإلى أن نصل إلى هذه الغاية ستبقى اللغة عاجزة عن التعبير الدقيق . إذ يجب أن نذكر من الآن أننا لا نعرف الدقة التامة فى أى علم من العلوم إلا إذا

استطعنا أن ننزل بحقائقه إلى الأرقام . ولذلك ليس مفر من أن نقول ، إن الرقى فى اللغة يعنى الدقة ، وهو يقاس بها . فما دامت الكلمة مسيبة فى المعنى تحتمل هذا المعنى ونصفه فضلا عن معنيين مشتبهين فانها تضر التفكير ، كالآلة لم يحكم بناؤها فلا يمكن التكهن بمنتجاتها . والانسان حيوان لغوى ، يرى ويسمع ويفكر باللغة . ولكل كلمة إيحاء معين فى أذهاننا . ففي مصر نقول «وزير» وفى الولايات المتحدة الأمريكية يقولون «سكرتير» والعمل الذى يؤديه الوزير والسكرتير واحد . ولكن إيحاء الكلمة الأولى أرستقراطى ، وإيحاء الكلمة الثانية ديمقراطى . ولهذا أثره البالغ فى الشعب الذي يلوك إحدى الكلمتين ، كما له أيضاً أثره البالغ فى نفس الموظف الذى يصف نفسه بأنه سكرتير أو وزير . فهو متواضع في الحال الأولى ، منتفخ فى الحال الثانية .

وللكلمات توجيه اجتماعى بعيد الأثر فى المجتمع . فان كلمة « البر » من أشرف الكلمات الموحية التى تربى الأبناء وتبعث على التعاون والاخاء ، فى حين أن كلمة «الدم» تحدث فى كل عام فى بعض مديريات الوجه القبلى نحو ثلاثمئة قتيل ، لأنها تحمل شحنة عاطفية تجعل كثيراً من الرجال يقتلون بلا روية .

والكاتب المتنبه الذى يحس الوجدان الاجتماعى يجب أن يؤكد المعانى البارّة للأمة وأن يضع الكلمات الجديدة كي يوجه التوجيه الفلسفي أو الاجتماعى . وبذلك تنمو اللغة وتتطور ولا تركد . واللغة فى تفاعل لا ينقطع مع المجتمع الذي ينطق أفراده بها . والقيم اللغوية فى تغير دائم لهذا السبب . والمحاولة لوقف هذا التغير هى تعطيل للتطور الذهنى للأمة . . . .

ومن الغايات الشريفة لكل لغة الاقتصاد فى التعبير . فاللغة الحسنة تتوقى المترادفات لأنها ثرثرة صبيانية يضيع بها الوقت . والكاتب الذكي يحيل المترادفات من التوحيد إلى التنويع . فنحن نميز الآن بين الذهن والعقل ، وبين الروح والنفس ، وبين الحكومة والدولة ، وبين المثقف والمتعلم وهذا حسن

وكذلك نحن نتبع الأسلوب التلغرافى وتتخير الكلمة التى تحمل العبرة فضلا عن المعنى .

وهذا الكتيب قد توخيت فيه بحث بعض مشكلاتنا اللغوية مع تعيين الأهداف التى نرمي إليها من اللغة . وأرجو أن أبعث به المناقشة عن القيم اللغوية العربية ، ووجوه الاصلاح فيها بالبناء والهدم . فنحن أمة متطوِّرة ، فيجب أن تكون لنا لغة متطورة ، بل لغة متمدنة تتسع للتعبير عن نحو مئة وعشرين علماً وفناً لم يكن يعرفها العرب الذين ورثنا عنهم لغتنا . ويجب أن يتغير رأينا فى البلاغة عما ألفوه . فانهم كانوا يقصدون منها إلى أنها فن لمخاطبة العواطف ، ولكننا يجب أن نزيد على هذه الغاية غاية اخرى ، هى أن تكون البلاغة علماً يراد به مخاطبة العقل . لأننا نعرف إن الحضارة التى نعيش فى أحضانها قامت على الأرقام الهندية التى تخاطب العقل فى دقة وبساطة أكثر مما قامت على الاستعارات والمجازات التى تخاطب العاطفة فى اغراق ومترادفات .

وكلمات اللغة هى بمثابة النقود التى نتعامل بها . وكثيرا ما يكون فيها النقد الزائف أو القديم الذى بلى وانمسح منه نقشه . والأمة التى تهمل كلماتها ولا تجددها ولا تسك الكلمات الجديدة هى أخسر من الأمة التى تجيز التداول للنقد الزائف . لأننا نشترى بنقود المعدن أو الورق حاجات الجسم ، ولكننا نشترى بالكلمات حاجات الذهن والروح والأخلاق والرقى .

# اللغة والتطور البشرى

هناك أسباب كثيرة لتطور الانسان الذى وصل به إلى السيادة على سائر الحيوان . فان ضخامة دماغه قد أعدته للتفكير السديد . ثم قامته المنتصبة قد حررت يديه فجعلته يحمل الآلات . ومن ثم صار تفاعل بين العقل واليد .. الأول يتخيل ويخترع ، والثانية تتناول وتنفذ . ثم هناك العينان فى الوجه (وليس فى الصدغين كما فى سائر الحيوان) فانهما تشرفان على مجال فسيح يجمع بين أشياء كثيرة ويجعل العقل قادراً على المقارنة والتمييز .

ولو كان دماغ الانسان صغيراً لما قدر على التفكير . ولو كانت يداه على الأرض يمشى بهما لما قدر على تناول الآلات والأشياء . ولو كان اعتماده على الشم بدلاً من النظر لصغر المجال الذى يشرف منه على الوسط ، فما كان عندئذ يجد المادة للتفكير الجامع التعميمى .

فالدماغ واليد والعين كلها تجمعت وتعاونت لرفع الانسان فوق الحيوان ولكن هناك عاملا آخر كثيراً ما يهمل هو اللغة . فان الانسان قبل كل شى حيوان لغوى . وللحيوان صوت ولكن للانسان لغة . وفرق عظيم بين الاثنين فان الحيوان عندما يتألم أو يخاف يصرخ . والصراخ هنا ذاتى يعبر عن احساسه ولكن الانسان عندما يتألم أو يخاف ينادي . فهو هنا موضوعى ، قد نقل احساسه إلى غيره من زملائه .

ومع هذا لا يزال حتى الصراخ غير عام بين الحيوان وقت الخوف أو الألم فان السباع وحدها هي التى تصرخ ، كما نرى فى القط والكلب والأسد . أما البهائم مثل البقر أو الحمير أو الخراف فلا تصرخ عندما تتألم أو تخاف .

ولكن يجب ألا ننسى إن الصراخ ذاتى . أما النداء فموضوعى . الاول

عاطفة كله . والثانى عاطفة وعقل . الأول حركة عقيمة لا تتجيز غير مكانها . أما الثانى فدعوة إلى المجتمع .

والحيوان لعجزه عن اختراع اللغة لا يختزن تفكيره ولا ينتفع لهذا السبب بتفكير آبائه أو زملائه . ولكن اللغة عندما جعلت الزمن تاريخيًا ، والفضاء جغرافيًا . فالكلب الذى يعيش فى القاهرة يعرف الشارع الذى به منزله وبضعة شوارع اخرى . ولكن الصبى يعرف «جغرافية» القاهرة ومكانها فى القطر، ومن النيل، بل مكانها على كوكبنا . فالفضاء عنده جغرافى بفضل هذه الكلمات : القاهرة . النيل . مصر . البحر المتوسط . أفريقيا . آسيا . الخ . وخيال الصبى لهذا السبب يتسع،وتفكيره يثرى بهذه الكلمات التى ورثها من المجتمع الذى يعيش فيه .

وكذلك الشأن فى الزمن . فان وقت الكلب هو ساعته أو يومه . أما نحن فلنا أمس وغد . ولنا سنين ماضية وسنين قادمة . ولذلك لنا تاريخ .

ولولا الكلمات التى جعلت الزمن تاريخيًا ، والفضاء جغرافيًا ، لما استطعنا أن نفكر ونختزن اختباراتنا ، فضلا عن اختبار معاصرينا وأسلافنا . أى لما كان لنا ثقافة . والحيوان ينتفع باختباراته الشخصية التى مرت به فى حياته . ولكننا نحن ــ بفضل اللغة ــ ننتفع باختبارات غيرنا فى العصور الماضية والعصر الحاضر .

وتفكيرنا يمتاز من تفكير الحيوان بالذكاء ، لسبب عظيم يتصل بالأسباب التى سبق فذكرناها . نعنى إننا نفكر بالكلمات . وصحيح اننا نستطيع التفكير الساذج البدائى بلا كلمات كما يحدث فى الأحلام ، ولكن التفكير الذى تتداخل فيه العوامل وتتبسط ساحته يحتاج إلى كلمات . ويكاد يكون من المستحيل أن نفكر بذكاء أو منطق فى أى موضوع بلا كلمات . وليس بعيداً أن يكون التفكير فى صميمه كلمات غير منطوقة كما يقول واطسون . واعتقادى أننا ننسى اختباراتنا فى السنتين الأوليين من أعمارنا لأننا لم نربط هذه الاختبارات بكلمات تجعل التفكير فيها ممكنًا لأنها لم تنقش فى الذاكرة بكلمات . . .

وكثير من التفكير الحسن ، بل أحيانًا من العبقرية ، يعود إلى أن اللغة التى نستعمل كلماتها قد بلغت من الرقى درجة عالية . لأن الكلمات فى هذه اللغة تحمل المعانى الأنيقة الدقيقة التى لاتوجد فى كلمات لغة أخرى متخلفة . ويتضح هذا عندما نقارن بين اللغة الألمانية وبين لغة متخلفة من لغات أفريقيا السوداء . فلو أن «جيته» ولد فى قبيلة افريقيـة لمـا استطاع أن ينتج الثمرات الزكية التى نقطفها من مؤلفاته لأن اللغة القبيلية لم تكن عندئذ لتسعفه بالكلمات التى تؤدى معانيه . بل كانت تبقى هذه المعانى أجنة تؤلمه بالمخاض ولا تجد المخرج من ذهنه، أو تخرج جهيضة .

وكي نفكر التفكير الحسن نحتاج إلى اللغـة الحسنة ، نعنى اللغة الدقيقـة التى تؤدى معنى معينًا ولا تتجاوزه إلى هوامش المعنى . وكذلك يجب أن تكون أنيقة لا تستطيع وصف الألوان الأصلية كالأبيض والاسود فقط بل تستطيع أن تنقل إلينا الظلال والأصبـاغ التي بينهما . فليس من البلاغة أن نقول إن الأخضر يطلق على الأسود كما تقول معاجمنا . بل يجب أن نميز لونًا من آخر تمييزاً صارمًا . كذلك يجب أن نضع الكلمات التى تعين الألوان الخفية بينهما . ويجب أن تكون لنا بلاغة عصرية لا تقتصر على مخاطبـة العواطف بل تخاطب العقل . ويجب أن تكون غايتهـا الأولى الفهم . وما دام الأمر كذلك فان المنطق هو الأساس الأول لأية بلاغة يراد بها التعبير السديد . . .

وكي نفهم الفهم الدقيق الأنيق باعتبارنا متمدنين يجب ألا نقنع بالمعنى الغامض المسيب بل يجب أن نعرف الجو السيكلوجى الذى تعيش فيه كلماتنا . وهل هي تؤدى الغاية الأولى من وجودها وهي التفكير الحسن (أي الفهم) أم لا ؟

# حين تربى الذئبة الانسان

كثيراً ما كنا نسمع عن أطفال بشريين يعيشون مع الحيوان وينشأون النشأة الحيوانية . وكنا نحمل هذه القصص على أنها نوع من الاختراع الذى لايصدق. ولكن الواقع يثبت إن هناك أطفالا خطفتهم الحيوانات وقامت بتربيتهم . فنشأ هؤلاء الأطفال وعاشوا فى الغابات .

والذئبة أقرب الحيوانات إلى اتخاذ ميمة الأمومة للطفل البشرى . وسبب ذلك إنها تغزو القرى والحقول المجاورة . وأكثر ما يكون هذا فى الليل، وأقله فى النهار . فاذا وقعت على طفل فى الحقل غفلت عنه أمه حملتـه كى تأكله . فاذا تلمس الطفل حلمات ضرعها ورضع تحرك حنوها فعطفت عليـه . وأخذت عاطفة الأمومة والرعاية مكان عاطفة الجوع والأكل . وعندئذ ترعاه كأنه ابنها . ويتفق هذا فى القليل النادر .

والمعروف إن الرضاع يثير فى الأم حناناً لاتحسه قبله . ولذلك يقال ، إن المرأة التى تريد أن تتخلص من وليدها عقب الولادة بقتله أو نبذه ، إنما تفعل هذا قبل أن ترضعه لأنها لا تحس حناناً عليه . فاذا أرضعته شق عليها الانفصال منه وحنت عليه .

وهنـاك حوادث تم تحقيقها وثبت ثبوتاً مؤكداً فيها إن الذئاب خطفت بعض الأطفال فنشأوا فى جحورها وعاشوا مع الذئاب . ويمكن القارىء المستطلع أن يقرأ كتاب المستر جيسل عن « طفل الذئاب وطفل الانسان »

Wolf Child and Human Child; by A. Gesell.

فان المؤلف كان يعيش فى الهند في ١٩٢٠ فسمع عن صبى بشرى يعدو

عند الغسق مع ذئبة ويسلك سلوكها . وكان بالطبع لا يصدق هذه الاشاعة . ولكنه بعد تكرارها عمد إلى بندقيته وتعقب الذئبة الى الجحر ، فقتل الذئبة وقبض على صبيتين كانتا فى جحرها . وكان هذا فى ١٧ اكتوبر من ١٩٢٠ . وكتابه هو قصة هاتين الصبيتين .

ولنترك الصغرى منهما لأنها ماتت بعد سنوات . أما الكبرى فيرجح المؤلف انها ولدت فى ١٩١٢ ولا يعرف متى خطفت . وكان المؤلف وزوجته يديران ملجأ . فوضعت الصبية فيه وكان عمرها وقتئذ ثماني سنوات . فكانت فى النهار تنام أو تقعد ووجهها إلى الحائط . فاذا جاء الليل نشطت وصارت تجرى على أربع : يديها وركبتيها . وكانت تشرب الماء لعقًا بلسانها من الاناء الذى تنحنى فوقه وتلعق منه كالكلب أو الذئب . ولم تكن تخشى الظلام . فاذا كانت ساعة معينة فى الليل لا تتغير ، عوت عواء الذئاب . وإذا اقترب منها أحد كشرت عن أنيابها . وكانت تفتش على الرمم وتأكلها . وكانت تحب جراء الكلاب وأطفال الماعز والقطط والفراخ وتلعب معها جميعها ولكنها كانت تنفر من الأطفال البشريين .

قلنا إنه قبض عليها فى ١٧ اكتوبر من ١٩٢٠ . ونقول إنها بقيت تمشى على أربع بل تنهض على أربع إلى ٢٤ مايو من سنة ١٩٢٢ حين وقفت على قدميها بعد أن أغريت على ذلك .

وفى أغسطس من ١٩٢٢ وقفت على ركبتيها وأكلت من الطبق بيديها بدلا من أن تأكل بفمها مباشرة . ولكنها مازالت إلى هذا التاريخ تلعق الماء

وفى نوفمبر من ١٩٢٢ قالت « ما » لرئيسة الملجأ وقالت أيضًا « بوبو » فى طلب الماء أو الطعام . ولم تكن قد نطقت قبل ذلك بكلمات . مع إنها كانت تصرخ أو تصيح .

وفى ١٠ يونية من ١٩٢٣ . وقفت وحدها على قدميها بلا اغراء

وفى ٩ يناير من ١٩٢٤ بدأت تخشى الظلام . وكانت أيام توحشها مع الذئبة تخشى النهار وتحتبئ ثم تنهض فى الليل وتغزو الحقول والقرى مع أمها الذئبة

وفى ١٩٢٥ شربت من كوب على الطريقة البشرية

وفى ١٩٢٦ بلغ مجموع الكلمات التى عرفتها ثلاثين كلمة

وفى ٢٩ يناير من ١٩٢٦ مشت على قدميها مع الاطفال

وفى ٧ يونية من ١٩٢٦ رفضت أكل اللحم

وفى ٦ ديسمبر من ١٩٢٦ أبدت حياء ورفضت الخروج من غرفة النوم بدون ثياب . وكان عمرها وقتئذ من سنة ولادتها ١٤ سنة ومن يوم تركها الذئبة ٦ سنوات

وفى ١٤ يناير من سنة ١٩٢٧ بلغت كلماتها ٤٥ كلمة

وفى ١٥ يولية من ١٩٢٧ بدأت تخشى الكلاب إذا نبحتها

وفى ١٤ نوفمبر من ١٩٢٩ ماتت وعمرها نحو ١٧ سنة

* * *

ولنا فى حياة هذه الفتاة الهندية المخطوفة عبره بل طائفة من العبر .

العبرة الأولى : إن السلوك يستقر فى السنوات الأولى من الطفولة ، ربما كانت السنوات الأربع أو الخمس أو الست . واننا بعد ذلك يشق علينا إلى ما يقارب الاستحالة إن نغير هذا السلوك . ونعنى بالسلوك الاستجابات العاطفية التى ينشأ عنها تصرفنا

والعبرة الثانية : إن ما نسميه طبيعة وغريزة إنما هو فى أحوال كثيرة تعليم وقدوة . حتى المشى ننساه إذا عشنا مع ذئبة . بل يذكر المؤلف إن هذه الفتاة عند ما قبض عليها كانت قد برعت فى المشى على أربع حتى كانت تسبق المطاردين لها من البشر

والعبرة الثالثة : إن أسلوبنا الذى نتخذه فى المشى والخوف والأكل

والشرب والغضب — كل هذا مكتسب بالوسط وليس وراثيًا .

والعبرة الرابعة ، وهذا هو الذى قصدنا إليه من هـذا الفصل ، إن اللغة هى التى تعين لنا السلوك والتصرف البشريين . فان هذه الفتاة قبض عليها وهى فى الثامنـة فاحتاجت إلى سنتين كي تقول « ما » للرئيسة ولـكى تقول «بهو . بهو . » فى طلب الطعام والشراب وبدأ ذكاؤها عندئذ يتفتق . فكان استظهار الكلمات ترافقه تغيرات فى السلوك . وهذه التغيرات تدل على حركات ذهنية وتفاعل بين الفتاة والوسط .

فاذا كان أحدنا يعيش فى غابة أوصحراء منفرداً بلا لغة فان ذهنه لن يتفتق بل يبقى مغلقًا مثل هذه الفتاة الهندية من حيث الاعتبارات البشرية . ولم تكن هذه الفتاة جاهلة من حيث الاعتبارات الذئبية ولـكن ذهنها كان عاطلا عندما قبض عليها وعمرها ثمانى سنوات وبقى عاطلا أو كالعاطل إلى أن ماتت بعـد أن بلغت ١٧ سنة لأنها لم تحصل إلا على ٤٥ كلمة أى مقدار ما يمكن أن يعرفه أبله . فهى من حيث الذكاء الطبيعى ربما لم تكن ناقصة ولـكن من حيث تفتق هذا الذكاء كان النقص واضحًا . وأكبر أسبابه انها كانت خرساء لاتعرف الكلمات البشرية التى تحمل إليها العواطف والأفكار البشرية . ومع إنهـا قضت في عشرة البشر سبع سنوات فان ذهنها لم يتفتق إلى الدرجـة التى كان يبلغها الطفل في هذه السن . لأن الطفل يولد ولوحـة ذهنه مسحاء تتقبل التعليم الجديد . ولـكن هذه المسكينة التقت بالبشر ولوحـة ذهنها حافلة بالعواطف التى بعثتها فيها عشرة الذئاب . ومن هنا صعوبة تعلمها .

واللغة هي التى تجعل الزمن تاريخيًا والفضاء جغرافيًا . وهذه الفتاة حرمت اللغـة فحرمت بذلك الفهم . وشرعت تفهم السلوك البشرى وتمارسه بدلا من السلوك الحيواني حين تعلمت الكلمات . وكانت كل كلمة جديـدة تعين لها فـكرة جديدة أو عاطفة جديدة ثم سلوكا جديداً

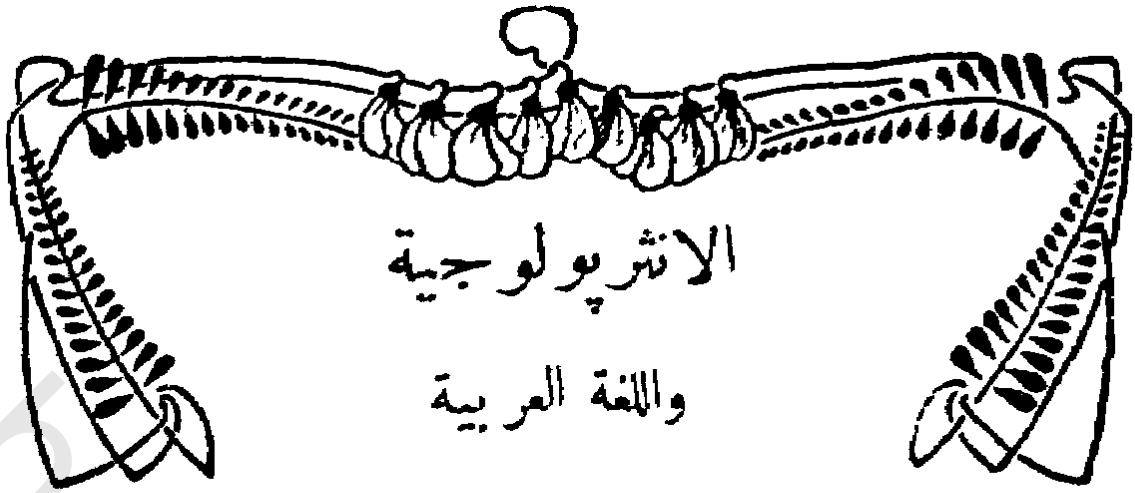

# الانثربولوجية

## واللغة العربية

كان يمكن أن أستغنى عن هذا الفصل في هـذا الكتيب . ولكنى أعالجه في سرعة وايجاز كى أجعل القارىء يألف الطريقة ويدخل في المزاج اللذين تتألف منهما اللغات بل ترتقى

فان الكلمات أصوات نشأت بين البرمائيات كالضفدع كى ينادى الذكر الانثى . وكانت غايتها الاولى لهذا السبب جنسية . بل ما زلنا نرى ان أغاريد الطيور التى تنضح بها الجو في الربيع انما يقصد بها في الاغلب نداء الجنس الآخر للتناسل . والصوت يعبر عن العاطفة . ولذلك يجب ألا نستغرب قول فرويد ان الباعث الاولى للنشاط البشرى هو الشهوة الجنسية . ويجب ألا يصدمنا هـذا القول لأن فرويد قد بصر من خلال هذا القول الى الجذور الاولى التى تختفي في جوف التطور ومهما تنتشر الفروع وتبسق فى السماء فان جذورها لا تزال فى الارض .

ولغتنا العربية مجموعة أو خليط من كلمات الحضارة والبداوة بل الغابة الاولى حين لم يكن يعرف الانسان الزراعة أوالصناعة. انظر مثلا إلى كلمة «كخ» التى تعم جميع البشر فى نهى الطفل عن شىء . فانا وأنت والقردة والانجليز والألمان والصينيين والهنود والاغريق الخ سواء فى هذا الكلمة التليدة .

ونشأت لغتنا كما نشأت جميع اللغات فى الأوساط البدوية الأولى . وكان استنباط المعانى يجرى وفقاً للوسط . ونستطيع الآن بتحليل الكلمات والرجوع الى أصولها القديمة أن نعرف العقائد والقواعد الاجتماعية التى كان يعيش أسلاف

العرب فيها . انظر مثلا إلى كلمة «الحياة» . فانها مشتقة من «الحيا» أي عضو التناسل عند المرأة . وما زال الفلاحون عندنا يقولون « حيا البقرة » أو « حيا الفرس » . ذلك أن الانسان البدائى لم يكن يعرف أن علاقة الرجل بالمرأة تؤدى إلى التناسل فكان يعتقد أن الأم هي الأصل الوحيد للأولاد . بل انه كان يصنع التماثيل «للحيا» ويحملها باعتقاد أن الحيا أصل الحياة وأنه مادام يحمل تمثاله فانه سيعيش وينجو من المخاطر . وعلى هذا الاعتقاد ، بأن الأم هى كل شئ ، صار النظام الاجتماعى عند الانسان البدائى أمويًا . وهذا واضح عند قدماء العرب ، ويتضح أكثر عندما نعرف أصل كلمتي «الضمد» أو «الحماة» .

وتطور الناس وانتقلوا من النظام الأموى إلى النظام الأبوى . ولكن بقيت فى لغتنا «الحياة» تدل على أصولنا وجذورنا الاجتماعية .

ثم من الرحم اشتق الناس الرحمة . أي أن الرحمة كانت فى الأصل العلاقة القائمة بين أبناء الرحم . وهذه الكلمة تدلنا على أن النظام الأموى سبق النظام الأبوي . ثم ارتقى الناس فصارت الرحمة فضيلة عامة بين أبناء القبيلة أو الأمة . كما اشتققنا نحن الاخاء البشرى من الاخوة بين أبناء العائلة .

وكذلك عرف الانسان البدائى الروح من الريح . والنسمة من النسيم . والنفس من النفس ( بفتح الفاء) لأن الفارق الوحيد عنده بين الحياة والموت لم يكن أكثر من التنفس . فاذا انقطع كان الموت . ومن هنا نشأت عقيدة الروح .

وهذه الكلمات وكثير غيرها تكشف لنا عن اللبنات الأولى التى تكوّن بها أساس اللغة العربية ، ولكل كلمة منها معنى انثربولوجى يوضح لنا نشأة الأفكار والعقائد .

فنحن فى عصرنا نميز مثلا بين الأسود والأزرق والأخضر ولكن معاجمنا لا تزال تحتفظ بالمعنى القديم لهذه الألوان وهي أنها لون واحد . ويشاركك

العرب معظم الأمم البدائية فى اشتقاق الملاحة بمعنى الظرف والصباحة من الملح . لأن الملح كان من الأشياء الثمينة التى لم يكن يحصل عليها غير المترفين .

واعتبر أيضا اشتقاق المساعدة من الساعد . لأن المساعدة تعنى ان أحدا يستعمل ذراعه فى خدمتنا . واعتبر الانفة من الانف ، والشمم من الشم . لأننا حين نأنف من شىء نرتفع بأنوفنا . أو انظر كيف اشتقت المعاقبة من العقب . لأن الانسان البدائى كان يعاقب خصمه بأن يتعقبه حتى يجده ويثأر منه . ومازالت معاجمنا تقول : « تعقبه : تتبعه وأخذه بذنب كان منه » . أو انظر إلى كلمة « كفّ » بمعنى منع ، فانها مشتقة من الكف أي باطن اليد . لأننا نمنع الناس بأيدينا أي بكفوف أيدينا . والكفيف سمي كذلك لأنه بمثابة من يضع كفه على عينيه . ثم انظر إلى فعل « أحصى » بمعنى عدّ . فانه مشتق من الحصا أي صغار الحجر . وذلك لأن الانسان البدائى كان يجهل العد بالأرقام . فكان إذا شاء مثلا أن يعرف ماعنده من خراف وضع فى جعبته عن كل خروف حصاة . فاذا شاء العد أخرج حصاة عن كل خروف . وحسبه هذا . وقد اشتق الرومان الحساب والعد على هذه الطريقة نفسها كما نرى فى الفعل الانجليزى « كالكيوليت Calculate » بمعنى حسب من « كالكيولس Calculus » بمعنى الحصاة أو الحجر .

والمشهور أن لغتنا فى أصلها ثلاثية الحروف . ولكن الأغلب أنها كانت ثنوية . أي أن كلماتها كانت من حرفين فقط . فها هنا أربع وعشرون كلمة تدل على معان متقاربة ، وهي أن شيئًا قد خرج من شىء . وهي : نبأ . نبت . نبث . نبح . نبذ . نبر . نبس . نبش . نبض . نبط . نبع . نبغ . نتأ . نتح . نثر . نثل . نفث . نفخ . نفذ . نفر . نغض نقط . نط . نطف . نطق .

وهذه الكلمات مترادفة فى معنى الشىء يخرج من شىء آخر . ولكن من

مصلحة اللغة والفهم أن نعين لكل منهـا معنى يختلف عن الآخر . وهذا هو ماقضى به منطق اللغة والتميز الذهنى .

ومن هذا الفصل الموجز ، يتضح لنا أن كل لغة إنما هي بمثـابة المصنع الذى يعيش فى عصرنا ، ومع ذلك يجمع فى مستودعاته فأساً من الحجر كانت تستعمل قبل ثمانية آلاف سنة ، وإبرة من الشوك كان أسلافنا يستعملونها قبل مئة ألف سنة ، وسيفاً من البرونز كان يستعمل قبل أربعة آلاف سنة ، وبين مصنوعات اخر مثـل الراديوفون والمصباح الكهربائى والسولفانيلاميـد . ومن هنا هذا الارتباك الذهنى الذى يؤدى إلى قلة الفهم أو اختلاطه . ذلك لأننـا نستعمل أدوات قديمـة كي تؤدى لنا خدمات جديدة .

# اللغة والسيكلوجية

الحقّ ان هذا الكتاب بجميع فصوله هو بحث سيكلوجى فى القيم اللغوية . وإذا كان هـذا يجرنا إلى أبحاث أخرى اجتماعية أو تاريخية فان الغاية الأولى يجب أن تبقى ماثلة وهى اننا ننظر إلى اللغة من خلال العدسة السيكلوجية .

ولم تعط اللغة سوى القليل من حقها من الدراسة السيكلوجية إلى الآن . وصحيح ان الرغبة فى الدعاية قد حملت قليلين على هـذه الدراسة فى اللغات الأوربية ، ولكن الموضوع لا يزال فى أوليانه . وهو بكر فى اللغة العربية .

وقيمة اللغة فى التفكير وفى السلوك لا تزال إلى حد كبير مجهولة . والعجب اننا لم نلتفت من قبل إلى اننا نفكر بالكلمات ، واننا لا نعرف حقائق الأشياء التى نتناولها بالذهن أو باليد ، وإنما نعرف أسماءها فقط . وكثيراً مايختلط علينا الاسم والمسمى . فنظنهما شيئاً واحداً . مع ان الحقيقة هى ان الكلمات رموزللأشياء . والشبه بينها وبين النقود كبير هنا . فان القرش قطعة من المعدن نرمز بها إلى قوة شرائية معينة . ولكن هذه القوة خاصة بنا نحن ، أى بمجتمعنا ، وليست خاصة بالقرش من حيث انه قطعة من المعدن .

وكذلك الشأن فى الكلمات ، فانها رموز فقط ، فاذا لم نتنبه إلى هـذه الرمزية فاننا نقع فى ألوان من السخف ، وتتورط فى أنواع من المعانى التى قد تضرنا بدلا من أن تنفعنا ، وتستبد بنا بدلا من أن نستخدمها . وكثيراً مايحدث هذا لنا . فان ما نسميه تفكيراً مثلا ، انما هو ، أو معظمه فى أغلب الأحوال ، كلمات تجرى على المستوى العاطفى فتؤدى إلى الانفعال بدلا من التفكير .

ومنذ نولد يتسلط المجتمع علينا بالكلمات التى تلقنها منه . فننشأ وقد فرضت علينا مقاييس اجتماعية وأخلاقية وروحية من هذه الكلمات . ونجد اننا نسلك سلوكا معينا بما غرسته هذه الكلمات فى أذهاننا من القيم . ونحن فى هذا السلوك نعتقد اننا أحرار . ولكن الواقع اننا مقيدون بهذه الكلمات التى بعثت فى أنفسنا انفعالات واكتسبت أذهاننا قيما لا مفر لنا من التسليم بها . لأن هذه الكلمات قد تعلمناها من الصغر حين لم يكن قد نضج الذهن وتدرب على التساؤل والنقد . فنحن نسلم تسليما أعمى ولا نعترض على المعنى الذى تفرضه علينا الكلمة . فنحن نقول : الشاؤم . والسماء . والروح . والحياة . والشرف . والوطن . والشجاعة . الخ . ولم يقف أحدنا قط ويسأل : ما هذه الأشياء ؟ لأن جميع هذه الكلمات تحدث فى أنفسنا انفعالا نظن انه طبيعى لا يحتاج إلى التساؤل . أو تحدث مقاييس ذهنية نعيش بها ونسلك فى حياتنا على مقتضاها . ونظن ، حين نستعمل هذه الكلمات ، اننا نفكر . والحقيقة ان التفكير هنا فى حدود هذه الكلمات لا يتجاوزها . بل الواقع اننا لو شرعنا فى التفكير السديد المحكم فى أحدى هذه الكلمات لهاج علينا المجتمع . وذلك ان هذا المجتمع قد ورث هذه الكلمات وانتظم بمعانيها . فهو يأبى على الفرد أن يستقل ويفكر منفصلا عنه . لأن هذا التفكير هو عندئذ هجوم على هذا المجتمع ، أى على عقائده وعاداته الذهنية وعواطفه النفسية .

ولكل منا مجتمعه الذى يتأثر به ويفهم معانى الكلمات كما اكتسبها منه . فكلمة الشجاعة ، مثلا ، تحمل طائفة من المعانى تختلف باختلاف المجتمعات .

فالشاب فى حلبة المصارعة فى نادٍ رياضى يفهم من الشجاعة معنى خاصا . والجندى فى الجيش يفهم من هذه الكلمة معنى خاصا آخر يختلف من المعنى الأول . وحين أقول « شجاعة الأسد » التى تختلف أيضًا من المعنى الذى أقصده حين أقول « شجاعة شهداء المسيحية » ، افهم معنى يختلف مما أعنى حين

أقول « شجاعة سقراط » . ثم لا ننس شجاعة اللص الذى نشأ فى عصابة تفتك وتقتال . ثم شجاعة ذلك الفيلسوف الذى يرفض القتال ويرضى بالاعتقال لأنه « عالمى » . ثم شجاعة الكاتب الذى لا يبالى الرأى العام . الخ .

والكلمات بذلك لا تكسبنا اتجاها أخلاقيًا على « المستوى الذهنى » فقط ، بل تكسبنا أيضًا اتجاهًا مزاجيا على « المستوى العاطفى » . فان كثيراً مما نشمئز منه أو نطرب له أو ننشط إليه يعود إلى الكلمات التى تعلمنا وانغرست بها عواطفنا . وحسب القارىء أن أذكر له ان كثيراً من الرجال والسيدات فى مصر يشمئزون من الانكليس مع انه مثل سائر السمك بل يعدّ من أجوده . وذلك لأنه يسمى « ثعبان » . بل انظر إلى كلمة « بجعة » فانها اسم شنيع لطائر يعد تحفة فى الطيور . ولذلك لم يستطع شاعر عربى أن يستغل الطاقة الفنية فى هذا الطائر لشناعة اسمه مع ان اسمه فى الانجليزية والفرنسية جعل كثيراً من الشعراء الانجليز والفرنسيين يذكرونه فى أشعارهم . وكذلك يجب أن نذكر أن كثيراً من شعرائنا يذكرون « البلبل » بكثرة لحلاوة اسمه فقط مع أنهم لم يروه قط . ومع أنه ليس فيه شىء من جمال البجع .

وهنا لنا عبرة . فاذا شئنا أن نعمم رأيًا أو عقيدة فلنختر لهما اسما مغنطيسيًا جذّاباً .

والخلاصة اننا نفكر بالكلمات . وكثيراً ما ننخدع فنظن أننا نعالج الأشياء فى حين أننا نعالج أسماءها فقط . ثم ان الكلمات تكسبنا اتجاها أخلاقيًا أو تكوّن لنا مزاجًا فنيا . وأحيانًا تحمل إلينا تقاليد هى رواسب الثقافة القديمة التى كثيراً ما تضرنا فى مجتمعنا العصرى .

والفصول القادمة هى توسع فى هذه المعاني .

# البيئة واللغة

الاصل فى هذا الكتيب مقال نشره الاستاذ احمد امين فى مجلة « الثقافة » اشار فيه الى أن الكلمات تتغير معانيها بتغير الزمن والبيئة ، جاء فيه :

«أن اللغة تؤدي معانيها فى دقة وإحكام فى مواد العلوم ، كالرياضة ، والطبيعة والكيمياء ، ومصطلحاتها مضبوطة قبل أن يعتريها غموض أو إبهام . وقريب من ذلك ، التاريخ ، فاللغة قادرة على أداء معانيه وحمل رسالته أداء حسناً ، وإن لم تبلغ فى ذلك مبلغ العلم ، فاذا نحن جاوزنا ذلك إلى الفلسفة والأدب رأينا اللغة مسكينة عاجزة عن أداء المعانى فى وضوح وضبط وإحكام ، حتى المصطلحات ، من الصعب تعريفها وضبطها . فما أصعب أن تعرف « الوجود ، والحقيقة » ، و « ما وراء الطبيعة » ، وما إلى ذلك ، وما أصعب ما تعرف « الشعر » « والأدب » و « الخيال » ونحوها ، وكذلك فى فروع الفلسفة والأدب ، فمن الصعب تعريف « الجمال والجميل » ، و « الفضيلة والرذيلة » ، و « الزمان والمكان » و « العدل والحرية » ، ومن العسير تعريف « القصة والرواية والمَثَل » ، وما أكثر ما يقع الناس فى الجدل والحجاج لأن كلا يتكلم وفى ذهنه معنى للشيء غير ما عند الآخر ، ولو اتفقوا على التحديد لاتفقوا على النتائج . ولا أنسى حادثة رويت لى وهو أنه من زمان أرادت حكومة العراق التعاقد مع الحكومة المصرية بالمراسلة والخطابات ، فكان الاتفاق مستحيلا لأن كلتا الحكومتين كان لها معنى خاص فى مصطلحاتها لا تفهمه الأخرى ، ولم يتم الاتفاق حتى تمت المشافهة والاتفاق على معانى المصطلحات . وسمعت محاضرة لفاضل عراقى فى التربية ، فثار جدل حول الموضوع تبين أن سببه

الاختلاف فى المصطلحات ، فهم يطلقون اسم « المدارس الداخلية » على غير ما نطلق ، ويسمون « الفصل » ما نسميه نحن بالسنة ، ويسمون «التوقيعات » ما نسميه نحن بالترقيات ، ويسمون « مدارس الحضانة » ما نسميه نحن برياض الأطفال ؟ وهكذا .

« من أسباب وقوع الناس فى الخطأ اللغوى عدم دقتهم فى الاستنتاج . فهناك عقول تستنتج من الجملة أكثر مما يلزم ، وهناك عقول تستنتج منها أقل مما يلزم ، وكلاهما خطأ . إذا قلتُ : « إن الغول مرعب » فاستنتجتَ منه أنى أقول : « إن الغول موجود » فقد أخطأتَ ، واستنتجت أكثر مما يلزم ؛ لأن الخيال قد يرعب ، والوهم قد يرعب ولو لم يكن الشىء موجوداً . وإذا حدثتك عن فرس بأنه أشهب ، فاستنتجت أنى أقول إنه موجود ، كان استنتاجك صحيحًا ؛ ومن الناس من لا يفرق بين القضيتين . وليس الأمر مقصوراً على الجمل ، بل دلالة الألفاظ على المعانى تختلف جد الاختلاف بين الأشخاص بحسب مدنيتهم وثقافتهم وعقليتهم ، فاذا قلت : « كرسى » لم يكن معناه عند الفلاح القروى كمعناه عند المدنى المتحضر . وكذلك الشأن فى كلمة « بيت » ، و « دولاب » ، و « سرير » ، وإذا قلت : « علم الحساب » فمفهومها عند الصانع المتعلم تعلمًا بسيطًا ليس كالمعنى الذى يفهمه العالم بالرياضيات ، وهكذا . وهذا ما يجعل الناس إذا اختلفت مدنياتهم وعقلياتهم وثقافتهم لا يتفاهمون تفاهمًا صحيحًا . ومن أسباب ذلك عدم دلالة الألفاظ على معان واحدة فى الرءوس المختلفة ، ولا تصدق أن معاجم اللغة تستطيع أن تشرح دلالة الألفاظ شرحًا تامًا صحيحًا ، فلكل كلمة هالة غير معناها الأصلى يعجز المعجم عن شرحها ، فدنيا الأطفال التى تعين على شرح الألفاظ غير دنيا الرجال ، ودنيا الفلاح غير دنيا المتمدن ، ودنيا الجاهل غير دنيا العالم ، وكل يفسر الألفاظ حسب دنياه .

« يتصل بهذا أن كل لفظ من ألفاظ اللغة يوحى بأشياء تختلف باختلاف الأشخاص حسب بيئتهم وتجاربهم فى الحياة وغير ذلك . فكلمة أبيض توحى إلى الفلاح باللبن ، وقد توحى إلى الطفل بالسكر ، وقد توحى إلى سكان البلاد الباردة بالثلج ، وكلمة « وزير » توحى إلى الشرقيين بمعان غير ما توحى به عند الغربيين ، وكلمة « العيد » توحى إلى الأطفال بمعنى الثياب الجديدة والأراجيح وعند أطفال آخرين بالهدايا تهدى إليهم ، وعند الرجال بالزيارات والتهنئات الخ ، وكلمة « البرلمان » و « نظام الحكم » توحى بمعان مختلفة فى الأفراد المختلفة والأمم المختلفة ، وهذا سبب آخر من أسباب الاختلاف بين الناس فى الإفهام والفهم ، فوحى الألفاظ عند الناس يختلف اختلافاً كبيرا .

« بل قد يكون اللفظ يوحى بمعنى عند الناس فى عصر لارتباطه بحادثة أو نادرة ، فإذا نسيت الحادث انقطع وحى اللفظ ، فمنذ سنين كانت كلمة « تعديل الأساس » و « ردم البرك » ، و « الحكم الصالح » تستثير منا الضحك لايحائها بمعان خاصة فى ظروف خاصة ، فلما زال الايحاء زال التأثير . ولذلك أعتقد أنا فقدنا كثيراً من كتب الجاحظ وقطع الأدب الاجتماعى ، لأن بعض ألفاظها وجملها كانت توحى بمعان معروفة . فلما تقادم الزمن جهلت فبطل سحرها . إن شئت فاقرأ رسالة التربيع والتدوير للجاحظ ، وهى تدور حول السخرية من « أحمد بن عبد الوهاب » تشعر بغموض فى بعض الجمل والإرشادات ، وسبب غموضها أنها كانت إشارات إلى أشياء مفهومة فى زمنها ، ثم انقطع وحيها فغمض معناها .

« ما وظيفة اللغة ؟ يخطئ من يظن أن اللغة تؤدى غرضًا واحداً ، وهو نقل المعنى من ذهن إلى ذهن ؛ فلها أغراض أخرى كثيرة قد يصعب حصرها ، وقد يبعد إدراكها . فمن أعجب أغراضها أحياناً أنها تستعمل لتخدير الأعصاب ، كتمرينات السحرة مثل ألفاظ « شمهورش » ، و « جلجلوت » ونحو ذلك ،

فهى لا تؤدى معنى ، ولـكن تخـدّر الأعصاب بغرابتها وتأليف حروفها ، ولذلك لا يصح أن نحاول كثيراً فهم سجع الـكهان فهماً تاماً ، فهى لم يقصد منها الإفهام التام بقدر ما قصـد منها التخدير والمعانى المحلولة ، وأحياناً يقصـد بالألفاظ مجرد ما توحيه من نغمات موسيقية لهـا أثرها النفسى كأثر الموسيقى . ولذلك لم تـكن تخلو الأدعيـة الدينية إذا تليت فى المعابد بلغة أجنبية من أثر قد يكون بالغاً ، لأن الألفاظ توحى بمعان سحرية موسيقية ، وإن لم تفهم معانيها الأصلية ؛ وهذه لغة الإنسان الأول كانت صيحات متشابهة اللفظ ، ولـكنها أحياناً تدل على الخوف وأحياناً على طلب النجدة ، وأحياناً على التحـذير من خطر ، وإنما تختلف دلالتها باختلاف موسيقاها » — أ هـ.

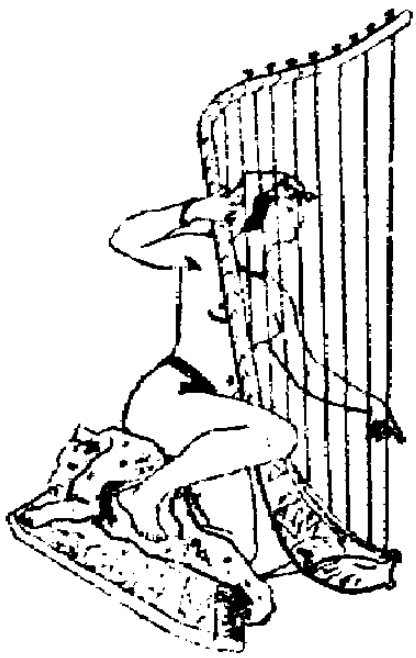

# اللغة والمجتمع

يجب على قارىء الفصل السابق أن يفهم أكثر مما قال الأستاذ أحمد أمين . أى يجب أن يفهم أن اختلاف البيئة والمجتمع والتاريخ والجغرافيا يغير معانى الكلمات التى نستعملها . ونعتقد اننا سواء فى فهم معانيها . فعبارة «سلطة الحكومة» تعنى معانى مختلفة فى الهند والولايات المتحدة ومصر وألمانيا وروسيا واليمن . وهذا الاختلاف الذى ينشأ من الجغرافيا يقابله اختلاف آخر ينشأ من التاريخ . ومن هنا الصعوبة التى نجد فى فهم الكتب الدينية القديمة . لأنه كان للكلمات التى استعملت مثلا قبل الف سنة ملابسات لا نجد مثلها فى عصرنا . بل كذلك كتب التاريخ ، فان المؤلفين يلتفون إلى معان لم نعد نلتفت إليها . لأن اللغة الحية تتفاعل مع المجتمع وتتغير بتغيره . أما إذا كانت لغة خاصة بالكهنة تتلى فقط فى المعابد فالتفاعل ينعدم . والكلمات عندئذ تتحجر أى تحتفظ بمعانيها على يدى المئات أو الألوف من السنين . ومثل هذه اللغة تعد فى القيمة الاجتماعية صفراً .

فاللغة الحية تتفاعل مع المجتمع فتنحط بانحطاطه وترتقى بارتقائه ، أى انها تتطور . وهى حين تتطور ينشأ بينها وبين المجتمع اتصال فسيولوجي ووظائف عضوية كما بين اليد والذهن ، كلاهما يخدم الآخر وينتفع به .

ولهذا السبب يجب ألا يكون للمجتمع لغتان إحداهما كلامية أى عامية والأخرى مكتوبة أى فصحى ، كما هى حالنا الآن فى مصر وسائر الأقطار العربية . لأن نتيجة هذه الحال ان اللغة المكتوبة تنفصل من المجتمع فتصبح كأنها لغة الكهان التى لا تتلى إلا فى المعابد وينقطع الاتصال الفسيولوجى بينها

وبين المجتمع فلا تتطور . ولهذا يجب أن تكون غايتنا توحيد لغتى الكلام والكتابة . فنأخذ من العامية للكتابة أكثر ما نستطيع ونأخذ من الفصحى للكلام أكثر ما نستطيع حتى نصل إلى توحيدهما .

واللغة الحية هى الجهاز العصبى للمجتمع أو الشبكة التلفونية التى يتخاطب ويتفاهم بها أفراده . فاذا عجزت عن تأدية هذا التخاطب والتفاهم فهى خرساء أى بمثابة الشبكة التلفونية المقطوعة أو التالفة . ويجب السرعة فى ترميمها .

وقد عرفنا هذا الخرس فى كثير من شئوننا الثقافية . فان المسرح مثلا لم يرتق لأننا لم نستطع تأليف الحوار باللغة الفصحى بين أشخاص الدرامة . لأن الكلمة الفصحى ليست « جوية » أى انها لا تنقل إلينا جو الحديث . لأننا الفنا أن يكون الحديث باللغة العامية فترجمته إلى اللغة الفصحى يصدمنا ويشعرنا بأن هذه الكلمة ليست فى مكانها ، أى ليست فى جوها الاجتماعى .

ولغتنا خرساء — والخرس هنا أوضح وأخطر — من حيث اننا جعلناها مثل لغة الكهان جامدة لا تتغير . وكانت نتيجة هذا ان فى العالم نحو مئة وعشرين علماً وفناً لا تنطق لغتنا العربية إلا بنحو عشرة أو عشرين منها . ولكنها خرساء فى سائرها .

فاللغات الانجليزية والألمانية والفرنسية وغيرها لغات ناطقة فى مئة وعشرين علماً وفناً . ولغتنا خرساء فى نحو مئة علم وفن . ولهذا السبب نحن جهلاء فى جميع هذه العلوم والفنون ما دمنا قد اقتصرنا على لغتنا . ونحتاج كى نستنير بهذه العلوم والفنون إلى درس إحدى اللغات الناطقة .

فالتفاعل القائم الآن بين لغتنا ومجتمعنا ليس تفاعلا صحياً . فان هناك انفصالا يحول دون ايجاد الدورة اللغوية كاملة به . ولذلك حدث المرض من هذا الانفصال وهو الجهل لنحو مئة علم وفن لا يمكن أن نعرفها إلا إذا تركنا لغتنا ونطقنا بلغة أخرى .

ثم اعتبار آخر يجب أن نلتفت إليه . وهو اننا ورثنا كلمات كانت قبل ألف سنة تعبر عن حاجات المجتمع العربى فى بغداد أو مصر أو دمشق . وهذا المجتمع كان اتوقراطيًا ارستقراطيًا . فورثنا كلماته الاتوقراطية الارستقراطية ، مع اننا نحاول أن نكوّن مجتمعا ديمقراطيًا . ونحن تتأثر بهذه الكلمات ونستضر بها لأنها توجهنا إلى غير ما نحب من الوجهات كما تغرس فى شبابنا عواطف نكره أن نراها فى القرن العشرين . فانظر مثلا أى إيحاء كلمة وزير فى مصر ، بجانب إيحاء كلمة سكرتير فى بريطانيا أو الولايات المتحدة . وانظر إلى إيحاء عبارات : صاحب الدولة . صاحب السعادة . صاحب العزة . فانها جميعًا عبارات تفتت العقائد الديمقراطية التى تقول بالمساواة الاجتماعية . أو انظر إلى كلمة « حضرة » التى لا يمكن ترجمتها إلى أية لغة أوربية ( ولكن يمكن ترجمتها إلى اللغة الصينية القديمة )

ثم انظر إلى ما ورثنا من المجتمع العربى القديم بشأن المرأة . فقد الغى هذا المجتمع المرأة من الحياة الاجتماعية إلغاء يكاد يكون تامًا . أما نحن فقد « رددنا الاعتبار » للمرأة المصرية . ولكن ما زلنا نستعمل الكلمات القديمة فنقول « أم فلان » أو « حرم فلان » ولا نذكر الاسم ، مع ان الاسم جزء من الشخصية وإهماله هو سبّة للمرأة . ألا ترى كيف ان أحدنا يغتاظ إذا أخطأ أحد فى ذكر اسمه فقال «علي حسين » بدلاً من الاسم الحقيقى « حسين على » ؟ وهذا لأن كلاً منا يحس ان اسمه من كرامته وهو بعض شخصيته . وإهمالنا لاسم المرأة هو تراث لغوى قديم يحمل إلينا عقيدة اجتماعية يجب أن نكافحها .

فيجب أن نؤلف بين المجتمع ولغته . فنجعل اللغة ديمقراطية إذا شئنا أن نكوّن مجتمعًا ديمقراطيًا (وقد ألغى العهد الجديد فى ١٩٥٢ كثيراً من الالقاب التى ذكرناها) ؟

# الأحافير اللغوية

أحافير الحيوان والنبات هي الأجسام المتحجرة التى مضى عليها الألوف أو ملايين السنين . ونحن نستخرجها من باطن الأرض ونحفظها فى المتاحف كى نعرف منها تطور الحياة . ولا يمكن أن نرد الحياة إلى هذه الأحافير لأن الحياة قد أبادتها وارتقت عليها وأخرجت لنا أنواعا أخرى . وهـذه الأحافير كانت فى يوم ما من تاريخ الأرض حية ، ولـكن سنة التطور قضت عليها بالانقراض

وفى اللغات أحافير من الكلمات التى لا تجرى على لسان أو قلم ولـكن المعاجم تحتفظ بها للدراسة كما تحتفظ المتاحف بأحافير الديناصور أو غـيره . فإذا عمد كاتب إلى استخراجها وبعث الحياة فيها فانه لن يصل من هـذا المجهود إلا إلى تكليف المجتمع عبئًا لا ينتفع به .

فالانسان القـديم كان يعتقد ان عالمه حافل بالالهة والارواح الطاهرة والنجسة ، وان حياته مدبرة بها للخير أو للشر . وكان ينشد حظه فى النجوم والـكواكب . ويتيمن بحركة الطير أو يتشاءم بها . وكان راضيًا بهذا العالم يجد فيه منطقا للسلوك الحسن فـكان يستعمل الكلمات التى تؤدى له هذه المعانى . وقد نبذنا نحن هذه العقائد ، ولـكن بقيت هـذه الكلمات الغيبية القديمة التى نستعملها فتفسد أذهاننا . حتى اننا من وقت لآخر نقرأ عمن يخاطبون الأرواح أو يقرأون طالعنا فى النجوم . وما زلنا نتفاءل أو نتشاءم من حادث أو كلمة . وما زال للعفاريت والجن والنجوم سلطان على بعض النفوس التى لا تستطيع أن تتخلص من هذه الأحافير اللغوية . ذلك لأن الطفل ينشأ وهو يستمع إلى الـكلمات فتنغرس فيـه عقائد يعجز عن التخلص منها حتى وهو فى الخمسين أو الستين من عمره .

وأحياناً نجد رجلا ممتازاً فى العلوم التجريبية قد درب ذهنه على تحرى الحقائق المادية ينزع إلى الايمان ببعض الغيبيات وكل ماعنده كلمة مثل « روح » يحملها ويجرى بها وراء المشعوذين الذين يبحثون له عنها تحت المائدة أو على ألسنة الدجاجلة الذين يستغلون تصديقه . وهو إنما ينزع إلى هذه الغيبيات بفضل كلمة أو كلمات تعلمها فى الصغر فغرست فيه عادات ذهنية لم يعد قادراً على التخلص منها .

ولكن الأحافير اللغوية لا تقتصر على ما ورثنا من كلمات مثل الجن أو العفاريت أو الأرواح ، فانها تتسرب إلى لغتنا المألوفة حتى لنقول «علا نجمه» أو « أفل نجمه » أو نحو ذلك . ونحتاج إلى شرح مسهب كي ننقل المعنى العصرى لصبياننا بهذه التعابير القديمة التى كانت حية أيام الفراعنة أو البابليين . وما دمنا نشرحها الشرح العلمى ونبين للصبي ان العقيدة القديمة كانت مخطأة واننا لا نرمى من هذا التعبير إلا إلى معنى النجاح والرقى أو العكس ، فان كل الضرر ينحصر عندئذ فيما تتكلف من شرح . ولكن قد يكون لهذا التعبير مع ذلك فائدة للصبي حين يعرف منه عقائد القدماء البائدة .

ولكن هناك أحافير لغوية كبيرة الضرر على مجتمعنا . ومن أسوأها فى مصر فى عصرنا هاتان الكلمتان « شرق وغرب » فان كلمة شرق توحى إلينا اننا بشر ننتمى إلى أسيا وأفريقيا وكأننا على عداء مع أوربا وأمريكا . ولما كان الأوربيون والأمريكيون هم المتمدنون السائدون فى العالم فان عداءنا يغرس فى نفوسنا كراهية للتمدن وعادات المتمدنين ومعظم المقاومة التى للقبعة ، بل كلها تقريباً ، يرجع إلى هذه الكلمة « شرق » . لأن المصرى يحس ان الشخصية القومية الشرقية تنهار باتخاذ القبعة التى تمتاز بها الشخصية القومية الغربية .

وكلمات الغيبيات توحى عقائد غيبية تعيّن للمؤمن بها سلوكا يتنافى مع المنطق ويؤخر عن تحقيق النجاح . وكثيراً ما يقعد أحدنا فى الترام فيجد جاره

وهو يتلو كلمات غيبية يريد أن يحقق بها غاية اجتماعية أو اقتصادية . فبدلا من أن يعمد إلى المنطق فيدبر الوسائل المادية والشخصية ، يتلو هـذه الكلمات ، وكأنه — كما كان يفعل البابليون — يستوحى النجاح من النجوم والكواكب .

ومن الأحافير اللغوية كلمات « الدم » ، و « الثأر » و « العرض » فى بعض مديريات الصعيد . فان هذه الكلمات تؤدى إلى قتل نحو ثلاثمئة امرأة ورجل كل عام . ولا بد ان بعض القراء سيثب إلى القول بأن هؤلاء القتلة يذودون عن شرفهم . وكل ما أستطيع أن أردّ به هو ، ان سكان الوجـــه البحرى لا يقتلون مثل هذا العدد من الرجال والنساء لأجل « العرض » و « الثأر » . فاما ان السبب انهم لا يستعملون هاتين الكلمتين فى حديثهم كما يفعل أهل الصعيد ، وإما انهم أقل إجراماً بطبيعتهم . والفرض الأول هو المعقول .

وهناك أحافير لغوية كثيرة فى الشعر العربى القديم . فان الشاعر كان يعيش فى جو تلائمه كلمات معينة . فلما انقطعت الصلة بيننا وبين هذا الجو صرنا نجد هذه الكلمات غريبة عن أذهاننا وقلوبنا . فهى لا تضئ بصيرتنا ولا تنبه ذكاءنا ولا تحرك خيالنا . انظر مثلا إلى الحداء وكيف اتصلت معانى الفعل من هـذه الكلمة بكثير من الشعر والنثر وأدت الخدمة الأدبية فى التعبير الحسن قبل ألف سنة . ولـكن من يحاول استعمالها فى عصرنا إنما يستعمل كلة من الأحافير اللغوية التى يجب أن يجد مندوحة عنها فى استعارات وعادات عصرية تلابس مجتمعنا .

واللغة التى تلابس مجتمعنا هى لغـة السوق والبورصة والمـكتب والمصنع والنادى والبيت والـكتاب والجريدة والمجلة والمنبر والمدرسة . أما إذا انفصلت واقتصرت على الـكتاب وهجرت المجتمع فصار لنا لغتان ، فان لغة المجتمع ستبقى حية ولـكن لا تجد العناية التى يستحقها الحى فهى تعيش فى وكس وضعف . وتبقى اللغة الأخرى كأنها أحافير تحفظ وتصان كما تصان لغـة الـكهنة فى المعابد عند المتوحشين .

# ضرر اللغة

كانت ولا تزال اللغة من أعظم الميزات البشرية لأنها جعلت التفاهم والتفكير ممكنين . بل جعلت الثقافة تختزن وتورث من جيل إلى آخر . ولكننا نجد ان اللغة كثيراً ما تحيل التفاهم إلى التباس . فيسيء بعضنا إلى بعض لأنه يجهل الغاية من كلامه . وكلنا يعرف ظروفا مرت به حين كان فى حوار مع آخرين فكان يضطر إلى أن يسأل : ماذا نقصد بهذه الكلمة ؟

وهذا السؤال يدل على أن الكلمات تلتبس بل تلتغز معانيها بين شخص وآخر . وانها لهذا السبب لا تؤدى الغاية الأولى منها وهى الفهم والتفاهم . واللغة الحسنة هى التى يقل فيها الالتباس أو ينعدم لأن لكل كلمة معنى معيناً لا يتجاوزه ولا يتسع لهوامش تحمل الشك أو الغموض أو الزيادة أو النقص كما هى الحال فى كلمات كثيرة مائعة تسيل على الجوانب ولا تثبت فى نقطة بؤرية .

واللغة بما ورثت من عادات ذهنية قديمة كانت شائعة قبل آلاف السنين ، قد حملت إلينا من المعانى ما لم نعد فى حاجة إليه بل نحن نستضر به . انظر مثلا إلى السباب الدينى فى كلمتى كافر ونجس . فهاتان كلمتان قد ورثناهما من عصر كانت العقيدة فيه أساس السلوك . ولم يكن الناس يستوون فى الحقوق لأنهم كانوا يختلفون فى العقيدة . ونحن نعيش الآن فى عصر نقول فيه بالمساواة بين جميع الناس بصرف النظر عن عقائدهم ، ونطالبهم بأن يجعلوا المنطق مرشداً لحياتهم . ولكن هاتين الكلمتين تحدثان انفعالاً يسيء إلى السلوك العام فى أية

أمة . ونحن حين نسمى إنسانًا « كافراً » نحرك عاطفة خسيسة للكراهة كما نفعل حين نسمى سَمكة « ثعبانًا » ونحمل الناس على كراهتها .

فهنا ضرر اللغة واضح فاننا إذا دخلنا معملاً كيماويًا وجمعنا فيه نحو عشرين شخصًا من سلالات وشعوب مختلفة وحاولنا ان نميز بتجارب علمية دقيقة بين الكافر والمؤمن ، والنجس والطاهر ، لما استطعنا . بل انا لنجد بالعلم انهم — كما يقول أسقف برمنجهام فى ظرف مشابه — سواء .

وقل مثل هذا فى كثير من الكلمات التى تحمل شحنات عاطفية سيئة . فانها كثيرة فى كل لغة . ونحن حين نحاول التفكير بالمنطق والتعقل فى أى موضوع نجد هذه الكلمات تعترضنا وتسد علينا السبيل دون التفكير الناجع .

ومن أضرار اللغة — وخاصة فى لغتنا العربية — هذه المترادفات التى تبعثر المعانى وتبعدنا عن الإحكام فى التعبير . ويجب أن يكون من قواعد التعليم للبلاغة الجديدة ، لهذا السبب ، محاسبة التلميذ فى إنشائه على الخطأ الذى يقع فيه حين يرفع مفعولا أو ينصب فاعلا .

ولذلك يجب أن يكون المنطق أساس البلاغة الجديدة . وأن تكون مخاطبة العقل غاية المنشئ بدلاً من مخاطبة العواطف . والبلاغة بفنونها المختلفة كما هى الآن فى لغتنا العربية تخاطب العواطف دون العقل . وهذا ضرر عظيم . فاننا حين ننصح لأحد الشبان بأن يسلك السلوك الحسن فى الدنيا ويتخذ أسلوبا ناجعًا فى الحياة نشير عليه بأن يجعل العقل والمنطق دون العاطفة والانفعال هدفه ووسيلته فى كل ما يعمل . ولكن البلاغة العربية فى حالها الحاضرة هى بلاغة الانفعال والعاطفة فقط .

وإذا جعلنا المنطق أساس البلاغة فاننا عندئذ نجعل قواعد المنطق ونظريات اقليدس مما يدرس للتفكير الحسن . وهو الغاية الأولى للبلاغة . ونبين قيمة

الأرقام فى التفكير الحسن . ثم تأتى بعد ذلك الفنون وهى عاطفية انفعالية للترفيه الذهنى . ولكن يجب أن نذكر ان التفكير الدقيق بالمنطق أخطر وأثمن من الترفيه الذهنى بالفنون .

وإذا جعلنا المنطق أساس البلاغة فاننا سنبحث الكلمات من حيث معانيها . ونبين كيف أن الناس كثيراً ما يخلطون بين الشئ واسمه ، وان هذا الخلط يشقيهم لأنه يبعدهم عن التفكير الناجع ويؤخر نجاحهم ويعطل المجتمع عن الرقى

كنت فى الريف فوجدت الفلاحين يذكرون كلمة «وريتة» ويقصدون منها إلى ثلاثة أشياء مكروهة . وهى البومة لأنهم يتشاءمون منها ، وابن عرس لأنه يفترس الفراخ ، والحمى لأنها تمرضهم . فهنا ثلاث كلمات : البومة وابن عرس والحمى . قد اختلطت على الفلاحين أسماؤها فصارت فى أذهانهم مسميات كأن الحمى ليست من جراثيم حية تدخل الجسم وتأكل خلاياه بل هى « ح م ى » . وكذلك لم يعد ابن عرس حيواناً يحتاج إلى أن ننصب له الشراك كى نوقعه بل هو كلمة تحدث ضرراً إذا لفظناها . وكذلك حملت البومة شحنة عاطفية تتصل بالسحر القديم ، فاذا ذكرنا الكلمة فقد هيأنا الجو للخراب . ولذلك يجب فى عرف الفلاحين أن نقاطع هذه الكلمات الثلاث ونقول بدلا منها « وريتة » .

وهذا المثل على سذاجته يجب أن ينبهنا إلى علاقتنا باللغة . فاننا كثيراً ما نخلط بين المسمى والاسم . وإذا كنا لا نتشاءم بالبومة ولا نقول « غراب البين » فاننا نضفى على بعض الكلمات مثل «الاشتراكية» معاني مكروهة حتى ان بعض الحكومات كانت تمنع ذكرها فى الصحف والكتب . ولكنها مع هذا المنع لم تخترع كلمة مثل « وريتة » كما اخترع الفلاحون حين أرادوا التعبير عن الحمى وابن عرس والبومة .

وما يقال عن الكلمات المكروهة يقال أيضًا عن الكلمات المحبوبة . فاننا كثيراً ما نخدع بكلمات لها بريق أو رنين أو ضجيج وكثيراً ما ننسى ان الكلمة ليست هى الشئ وإنما هى رمز للشئ .

على ان البلاغة القديمة — بلاغة الانفعال والعاطفة — يمكن أن نستخدمها للتوجيه الاجتماعى فى الأمة . ولكن مع الحذر من أن يعود هـذا التوجيه دعاية سيئة لأحد المذاهب الضارة ؟

obeikandl.com

# ضرر اللغة ايضا

اللغة الحسنة هي التى ، حين نعبر بها ، نحس السيادة المنطقية على كلماتها . فلا نشعر أنه كان يجب أن نزيد هنا أو ننقص هنـــاك . أو أن معنى الـكلمة التى استعملناها قد يحمل القارىء على أن يفهم غير ما قصدنا . وبكلمة اخرى نقول ، ان اللغة الحسنة هي تلك التى تتيح لنا التفكير المنطقى كما لو كانت كلماتها أرقاماً تؤدى لنا الحساب الذى لا يحمل حاصل الجمع أو الطرح فيه معنى الشك . أو على الاقل يجب أن نقارب هذه الحال من الدقة على قدر الامكان

والواقع أن العـــلوم لاتنضج إلا حين تقاس بالأرقام وتعبر الأعداد عن حقائقهـــا . ولا يزال كثير من علمي السيكلوجية والاجتماع بعيداً عن امكان التعبير عنه بالأرقام . ولذلك تنقص قيمتهمـــا بقدر هذا العجز عن استخدام الأرقام فى شرحهما وفهمهما

ونحن فى مصر نسىء إلى اللغة العربية والى شبابنا أيضًا ، حين نتخذ معهم طرقًا عتيقة فى معالجتها يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ — اننا نعلمهم مبادىء البلاغة العاطفيـة بالمجاز والاستعارة والتشبيه الخ كى يصلوا منها الى التعبير الفنى أو الى الرفاهية الذهنية بدلا من مبادىء البلاغة العقلية بقواعد المنطق حتى يصلوا إلى دقة التعبير وتوقى الالتباس . والنتيجة من هذه البلاغة العاطفية هي الضرر لأنها تحدث لهم اتجاهًا نحو التزاويق والبهارج . فاذا طلب إليهم التفكير عجزوا

٢ — هذه البلاغة العاطفيـــة قد حملت المعلمين على الاكبار من شأن الاقتباس ، حتى اننا كثيراً مانرى فى كتب الانشاء التى يتداولها التلاميـذ عناية

المؤلفين بما يسمونه «الجمل المختارة» وهي عبارات تحتوى كلمات لها بريق أو رنين أو ضجيج . والتلميذ الذى يكلف استظهارها إنما يفعل ذلك على حساب تفكيره ، فكأننا نقول له : « لا تنظر إلى هذه الدنيا بروح الباحث المتفهم المفكر وانما استظهر العبارات المزخرفة وتكلف التزاويق لأنها أحسن ما يمكنك أن تعبر به فى الانشاء »

ونحن فى هذا التوجيه نحمله على العناية بالقشور ، بل بما هو أفقه منها ، وترك اللباب أي التفكير السديد

٣ — وضرر ثالث هو أيضًا نتيجة ماذكرنا، نعنى به العناية بالاسلوب ومحاولة التلميذ أو الطالب أن يتعلم أساليب المتقدمين ويحاكي أحسنها وكأنها غاية الانشاء

ونحن فى كل هذا نكاد نجحد الذهن . وعندما يشب هؤلاء الشبان يتجهون ، إذا ألفوا كتابًا أو كتبوا فى صحيفة ، وجهة الاقتباس والتزويق دون التفكير والبحث . وهذا نراه شائعًا فى كتبنا ومجلاتنا . بل أحيانًا نجد المصرى المتعلم الذى درس فى اوربا واصطنع المنطق العلمى فى تفكيره عاجزاً عن التأليف فى اللغة العربية لأنه يجهل الاقتباس والتزويق ولذلك يحجم عن التأليف فنحرم ثقافته مع حاجتنا العظيمة اليها

فكيف نعالج هذه الحال ؟

١ — نعالجها أولا وقبل كل شيء بأن نجعل قواعد المنطق تقوم مقام قواعد البلاغة القديمة . أي دقة التعبير بدلا من تزويق التعبير . ومخاطبة العقل بدلا من مخاطبة العواطف

٢ — ونعالجها ثانيًا بأن نقاطع الاقتباس فى الانشاء فى المدارس الابتدائية والثانوية . ونجعل التفكير يقوم مقام الاقتباس . فيجب ألاّ تكون هناك « جملة مختارة » تحفظ عن ظهر قلب . بل يجب أن يعوّد الصبي أو الشاب كيف يفكر ويبحث ويطلع

٣ — يجب أن تعرف أن الأسلوب هو الناحية الأخلاقية للكاتب . فاذا كان الكاتب فنانًا يعيش الحياة الفنية وينظر إلى الدنيا من خلال العدسة الفنية ، فأسلوبه فني . واذا كان عالمًا فأسلوبه علمي . واذا كان اجتماعيًا الخ

وأسلوب الكتابة هو بعض اسلوب الحياة . فالرجل المستقيم الصريح فى معاملاته يكتب فى عبارة صريحة وفي كلمات لاتقبل الالتواء . فاذا طالبنا الصبي أو الشاب بأن يحسن الأسلوب فى كتابته فانما نطالبه فى الحقيقة بأن يتخذ أسلوبًا حسنًا فى معيشته وأن يرقى شخصيته . واذا استقرت هذه القواعد فى مدارسنا وتعلمها صبياننا وشبابنا فاننا سنجد عندئذ المؤلفين المفكرين والصحافة النيرة المرشدة : صحافة الشخصيات الكبيرة والتفكير العلمي الدقيق .

# اللغة والجنون والاجرام

لا أقرأ جريدة الصباح حتى أجد جريمة أو جريمتين مرجعها إلى اللغة .

وسأحاول هنا معالجة هذا الموضوع الذى ، على ما يبدو عليه من اللون الفلسفى ، وعلى ماسيجد فيه القارئ من عمق ، سيرتاح فى النهاية إلى الاستنتاجات التى سنصل إليها . وهى جد خطيرة فى مجتمعنا المصرى الحاضر .

وهو بلا شك بحث فلسفي . ولكن فى عصرنا الديمقراطى يجب أن يكون الأدب والفن والفلسفة للشعب . بل لعامة الشعب التى على كل منا أن يعلمها ويرفعها . . وقد قال سارتر زعيم الوجودية : « ان الفلسفة يجب أن تنزل عن أريكتها وتدخل فى السوق . . »

وموضوعنا بأخصر عبارة هو ان كلماتنا التى نتحدث بها ونقرأها تعين أخلاقنا وسلوكنا الاجتماعى . . فنحن فضلاء أو أرذال باللغة . . ونحن عقلاء أو مجانين باللغة . كما نحن علماء أو جهلاء باللغة . .

اعتبر أيها القارئ شابًا ريفيًا فى مديريات سوهاج أو قنا أو أسيوط قد نشأ وتربى وسمع بأذنه وتكرر سماعه لكلمات الثأر والانتقام والدم . فان هذه الكلمات حين ينطق بها ، تصور له صوراً فكرية معينة ، وتحمله على أن يسلك السلوك الاجرامى بقتل خصومه لأوهى الأسباب .

بل انه يفهم كلمات الشرف والعرض والسمعة على غير ما يفهمه الشاب

فى القاهرة أو الاسكندرية ولذلك ما هو أن يرى أخته يتحدث إلى أحد الشبان حتى تستطير هذه الكلمات عقله وتلهب عاطفته فيجمع إلى معانيها معاني الكلمات الأخرى : الدم والثأر والانتقام .

ثم يكون قتل الأخت : كلمات تؤدى إلى جرائم .

ولا يمكن أن نقول أن جرائم العرض فى قنا وجرجا وأسيوط أكثر مما هى فى القاهرة أو الاسكندرية . ولكن جرائم الدفاع عن العرض أكثر . لأن هذه الكلمات أى الثأر والدم والانتقام مألوفة فى الصعيد أكثر مما هى مألوفة بين سكان الوجه البحرى والقاهرة .

جرائم الدفاع عن العرض التى تذكر لنا صحفنا كل يوم جريمة أو اثنتين منها هى جرائم لغوية لا أكثر . اما لوجود كلمة كان لا يصح أن توجد ، واما بتحميلها معنى كان يجب ألا تحمله .

أو اعتبر كلمتى الحسد والشماتة . فانهما تبعثان فى النفس أسوأ الاحساسات . وكنا نكون أطيب قلوبًا لو أننا لم نتعلمها . بل هناك من الكلمات البذيئة التى نسمعها من صغار الباعة الجائلين ومن أمثال الحشاشين مما يتصل بالشئون الجنسية ما يعين لنا سلوكا أو اتجاهًا جنسيًا . لأن للكلمة إيحاء ، مهما ظننت أنك خلو منه ، فانك تحسه ، من حيث لا تدرى ، إذ هو يتصل بعاطفتك .

الكلمة فكرة . والفكرة إحساس وقد يحتد الاحساس فيصير عاطفة ، بل عاطفة جنونية .

وأنا الآن أدلك ، أيها القارئ ، على حوادث من الجنون تتكرر فى مصر بسبب اللغة .

اعتبر سيدة أنيقة جميلة تعنى بهندامها وتعجب بقامتها ووجهها قد اقتربت من سن الثامنة والأربعين أو التاسعة والأربعين ، ثم وجدت توعكاً أو توتراً . فلما استشارت الطبيب ، قال لها : ان حالتها تعد طبيعية فى سنها . . . سن اليأس

يأس ؟ من منا يسمع هذه الكلمة ولا يضطرب ؟

الواقع أن جميع نسائنا يضطربن لهذه الكلمة . وقد يزيد الاضطراب بسبب الضرة أو الحماة أو الخوف من الطلاق ، فيصير جنونًا أو على الأقل شذوذاً يلفت النظر ، ويحتاج إلى العلاج .

ولو أننا استبدلنا بكلمتى سن اليأس سن الحكمة أو سن النضج لكان لهذا المعنى الانسانى توجيه آخر نحو الأمل والنشاط ، ولكان منه سبب لسعادة نسائنا بدلاً من شقائهن .

وأستطيع أن أزيد فى أمثلة الجنون أو الشذوذ الذى ينشأ من الكلمات السيئة . وخاصة من تلك الكلمات التى تتصل بالعلاقات الجنسية والتى تعين لنا أسماء ( أى معانى ) بذيئة لأعضاء الخلود البشرى . لأننا حين نصف الأعضاء بالنجاسة أو نسميها « سوأة » انما نصم التعارف الجنسى بأسوأ الوصمات ونجعل منه جريمة مستترة . ونحيل أشرف عاطفة بين الزوجين إلى دنس وخسة وعيب . وعندئذ يصطبغ الاتصال الزوجى بكل هذه المعانى .

وقد كنت أقرأ كتاباً بعنوان « صائدو الرءوس » لمؤلفه الفريد هادون . والكتاب يصف قبائل من المتوحشين فى غينيا الجديدة ينتظم مجتمعهم على مراتب من الشرف والمروءة والشهامة تحتاج لبلوغها إلى أن يصيد الانسان إنساناً آخر ويقطع رأسه . وعلى قدر ما يعلق من رءوس فى كوخه يكون شرفه وشهامته ومروءته .

وأعظم ما لفتنى فى هذا البحث أن هناك عند هذه القبائل كلمات تحمل دلالات الشرف والشهامة والمروءة ، وتتصل بالقتل وفصل الرأس من البدن وتعليقه للفخر .

وهؤلاء المساكين ينشأون على هذه الكلمات ويفكرون وفق الصور التى ترسمها لهم . ثم ينفعلون بالشرف والشهامة والمروءة ، فيقتالون خصومهم

أو غير خصومهم كما يفعل الشاب الريفي عندنا فى جرجا وقنا وأسيوط عند ما يذكر كلمات الدم والانتقام والثأر ، فيقتل ويظن أنه شهم شريف .

وعلى قدر كلمات الفضائل فى لغتنا نكون فضلاء .

وعلى قدر كلمات الرذائل فى لغتنا نكون أرذالاً .

وعلى قدر المنطق فى كلماتنا نكون منطقيين فى سلوكنا .

وعلى قدر الخبال فى كلماتنا نكون مخبولين فى سلوكنا .

وأحب أن أكرر أن الكلمات أفكار . وأننا لا نستطيع أن نفكر بلا كلمات أو ما يقوم مقامها من إيماءات باليد أو العين أو نحو ذلك .

وهناك حقيقتان سيكلوجيتان . الأولى هى قوة الكلمة المكررة فى الايحاء . فاننا نستطيع أن نحدث إيحاء لشخص آخر أو لأنفسنا بكلمة مكررة تحمل معنى أو توجيها . وهذا هو التنويم النفسى الذى يحمل النائم على أن يسلك سلوكاً معيناً . فاذا تكررت كلمات الدم والثأر والانتقام أحدثت الايحاء ثم الاجرام . ومعظم سلوكنا بل ربما كله يعود إلى الكلمات التى تعودناها منذ الطفولة .

والحقيقة الثانية ان الكلمة المنيرة ، أى التى تنير العقل بالمنطق أو القلب بالبر والشرف والمروءة ، هذه الكلمة تمسح عن العقل النائم المضطرب غشاوة . ولذلك نحن نطلب من المريض أن يشرح ، بالكلمات ، تاريخ مرضه ويحاول تعليله . وكثيراً ما يشفى بمحض القوة المنيرة الانسانية التى فى الكلمات التى يستعملها لأنه باستعمالها قد حدد مرضه وعين اماراته وأسبابه .

وكثيراً ما ألاحظ أن شيخوخة العقل تبدو مبكرة عند المسنين من الأميين . ولكنها تتأخر أو لا تبدو بتاتاً عند المتعلمين المثقفين . وعلة ذلك تتضح مما شرحنا هنا وهو أن الأفكار كلمات . ومادام المسن يعرف الكلمات ،

فان عقـــله يحتشد بالأفـكار . فلا يكون هناك مجال للخلط أو الخرف أو النسيان .

ومن هذا البحث الموجز نعرف أيضا أن أعظم ما تحتاج إليه أمة ما كي يرتقى مجتمعها وتنقص أمراضها وجرائمها وكي يسلك أبناؤها السلوك الاجتماعى الحسن أن تعمل لترقيـة لغتها وتنقيتها ووضع الكلمات الجديدة التى تزيد الاحساس بالفضائل .

وما أجمل أن نذكر للشعب ، ونكرر الذكر ، لكلمات الحرية والديمقراطية ، بل الديمقراطية الاجتماعية ، والمساواة والأخاء والحب والمروءة والشرف والثقافة وحق المرأة فى الانسانية ونحو ذلك .

انها كلمات يصح أن يكون كل منها برنامجاً للسلوك الاجتماعى السوى ، بل الراقى .

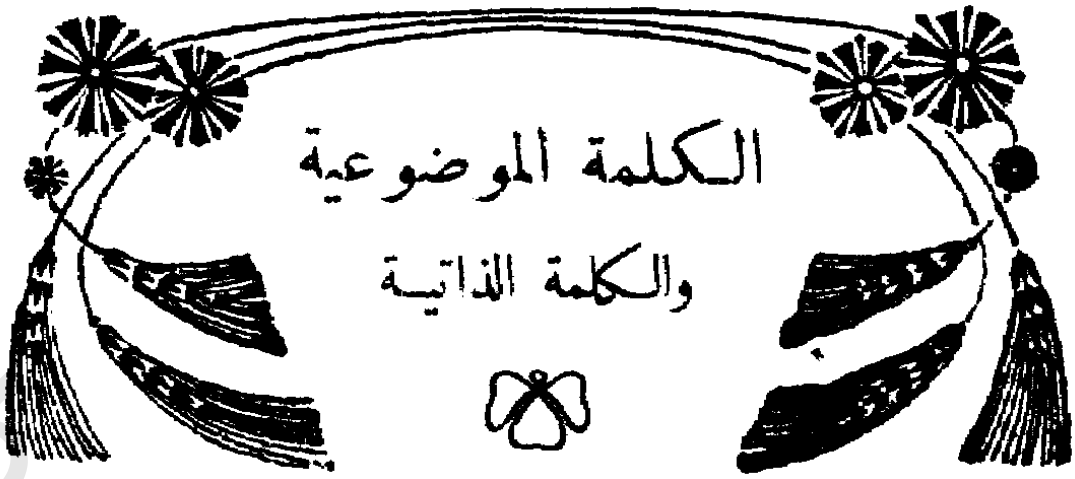

# الكلمة الموضوعية
# والكلمة الذاتية

طبيعة الكلمات هي الجمود ، وطبيعة الأشياء التي تعبر عنها هي التغير . فكل شيء في الدنيا ـ بل في هذا الكون ـ يتغير . والحياة في الحيوان والنبات هي أعظم المظاهر لهذا التغير . وهذا التغير على أقصاه في الانسان ، لأنه يعيش في مجتمع تتغير به أخلاقه وعاداته وآراؤه

ونحن في تفكيرنا نتخذ أسلوبين : الأسلوب الموضوعي حين نتجرد من احساسنا الشخصي أو لا نجد له مجالا . كما لو قلنا : كرسي أو أسد أو شمس أو شارع . فكلنا على وجه التقريب يذكر هذه الأسماء دون أي انفعال . وكلنا سواء تقريباً في ادراك صورها . ولذلك اذا كنا في حوار وذكر أحدنا الشمس أو الكرسي لم يحتج الآخر إلى أن يسأله : ماذا تعني ؟ لان المعنى واضح

وهذه الكلمات موضوعية أي أنها غير متأثرة بذواتنا . والمفكر العلمي يحاول على الدوام الوصول الى هذا الاسلوب الموضوعي في التفكير ، أي أنه حين يبحث مشكلة يتجرد من احساساته وميوله وما يحب وما يكره

ولكن هناك الاسلوب الذاتي ، اسلوب الاديب والفنان . فرجل الادب يتحدث عن المثليات أو الجمال أو الذوق أو العظمة . وهذه الكلمات جميعها ذاتية أي تعبر عن احساساته وانفعالاته . ولذلك نختلف فيها كثيراً . فقد يقول أحدنا أن القناعة من فضائل الفلاح ، فأردُّ أنا عليه ولي انفعالات نفسية : لا . بل هي من رذائله . وقد يستمع الى امرأة تغني فيقول ، أن الاغنية حسنة . فيرد آخر بأنها ليست اغنية وانما هي اغنوجة

ومن هنا نفهم أن الغناء والقناعة كلمتان ذاتيتان نختلف فيهما كثيراً . أما الكرسي والشارع فكلمتان موضوعيتان لا علاقة لهما بانفعالاتنا واحساساتنا ولذلك لانختلف فيهما

نحين اسمع أحدهم يقول « امرأة جميلة » فاني افهم كلمة امرأة ولا اختلف معه . لأن الكلمة موضوعية . ولكنه حين وصفها بالجمال قد تعرض للمناقشة لأن الكلمة ذاتية . اذ قد تكون فكرتي عن الجمال غير فكرته

والكاتب الذكي هو الذي يحاول أن يكون علمياً موضوعياً وليس عامياً ذاتياً . ولكن يجب أن نذكر أن اللغة ستحتوي على الدوام كلمات ذاتية تعبر عن الاداب والفنون . وهي هنا ليست عامية ولكنها تعبر عن ذاتية ممتازة

انظر مثلا الى قول احدنا : هذا الصبي ذكي

فان وصف الذكاء هنا قد يكون ذاتياً ، لان المتكلم ربما وصفه بذلك لانه استخف ظله ، أو لان هذا الصبي قد خدمه ، أو لان المتكلم نفسه ليس ذكياً . فكلمة « ذكي » هنا ذاتية » . ولكن السيكلوجيين استطاعوا أن يجعلوا هذا المعنى موضوعياً . فهم يقولون: «هذا الصبي يبلغ معدل ذكائه ١٠٧» وذلك بعد قياس مضبوط

وكلمات الشرف ، والثقافة ، والغباوة ، والفاقة ، والثراء ، والعدل ، والشجاعة ، والجمال ، والقناعة ، والتكبر ، والغضب ، والتسامح ، كلها كلمات ذاتية تعبر عن انفعالاتنا الشخصية ، أو ظروفنا البيئة ، ولا تعبر عن حقائق موضوعية مثل الكرسي أو الشارع

والتفكير السديد ينقلنا ، أو يحاول أن ينقلنا ، من النظر الذاتي للاشياء إلى النظر الموضوعي . ومن الوصف المائع العام الى الوصف بالارقام ، كما رأينا في معدل الذكاء في السيكلوجية . وكثير من الفهم السيء للفلسفة القديمة ـ

وما يلحق بها من أدب ودين ـ يرجع الى أنها عالجت شئون الدنيا بكلمات ذاتية قد اختلفت معانيها بعد مرور ألف أو ألفي سنة

وقد ارتقت الامم بكلمات ذاتية مثل مروءة وشرف ، وشهامة ، وحياء ، وأنفة ، كما انحطت بكلمات ذاتية اخرى مثل شماته ، وكفر ، ونجاسة . ولكن اذا صرفنا النظر عن الارتقاء والانحطاط ، فاننا نجد أن الكلمات الذاتية كثيراً ما تبعث على الالتباس والفهم السيء . ومن هنـــا الاختلاف الدائم فى الدين والفلسفة والاداب والفنون . والاتفاق التام فى العلم ، لان كلمات العلم موضوعية ولذلك اسلوب التفكير فيه موضوعى .

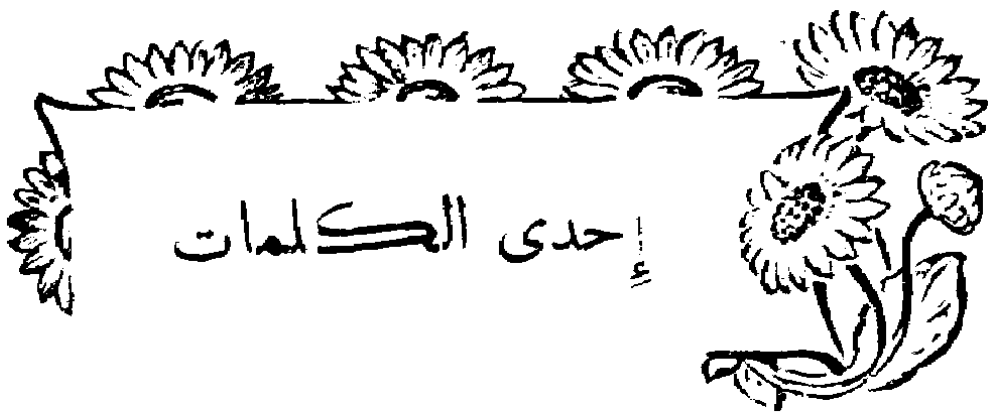

# إحدى الكلمات

لغتنا تستوى وسائر اللغات العصرية فى نقص التعبير عن المعانى الذاتية . وهذا النقص سوف يبقى — كما قلنا — إلى أن نهتدى ، نحن وسائر الأمم ، إلى اللغة العلمية ، أى اللغة التى تنقل المعنى من « الذاتية » إلى « الموضوعية » .

فبدلاً من أن نقول : هذا الصبى ذكي ، نقول : يبلغ ذكاء هذا الصبى ١١٥ .

وبدلاً من أن نقول ، كان يوم أمس حاراً مرهقاً ، نقول : بلغت الدرجة المئوية للحرارة أمس ٣٩ .

وقد سبق أن قلنا أيضاً أن العلم لا تنضبط قواعده إلا إذا عبرعنه بالارقام . وقد يتساءل القارئ فى أسف واكتئاب : أى دنيا هذه التى يعيش فيها الناس بلغة الأرقام ؟

ولكن يجب أن نذكر أن العالم لا يزال فى بداية التعبير اللغوى ، وان الفرق بيننا وبين المتوحشين فى اللغة انما هو فرق الدرجة والتفاوت وليس فرق النوع والاختلاف . فالمتوحش يعبر عن حاجاته بنحو ٥٠٠ كلمة ونحن نعبر بنحو ٥٠٠٠ أو ٥٠٠٠٠ . وهو يقول عما زاد على العشرة انه « كثير » . أى انه يعبر بكلمة واحدة عن اعداد المئات والألوف والملايين . وربما لا يزال متعلقاً بطريقة « الاحصاء » بالحصا كما كنا نحن قبل ألوف السنين . ولكن مع هذا لا تزال فى لغتنا العربية ولغات الأمم العصرية كلمات تعبر عن إحساسات مختلفة تتغير معانيها ولا تتغير الكلمة التى تدل عليها . ونحن فى هذا مثل المتوحش الذى يسمى ما زاد على العشرة « كثير » .

أنظر مثلاً إلى كلمة « أحبّ » .

فالرجل يحب المرأة هذا الحب البيولوجى الذى يقصد منه إلى التناسل . والزوج يحب زوجته . وإحساس الزوجين للحب يرتفع على المستوى البيولوجى فهنا اختلاف .

ولكن أحدنا يقول إنه يحب الملوخيا . فهل كلمة الحب التى تستعمل للتعبير عن العلاقة بين الرجل والمرأة هى نفسها التى يصح أن تستعمل للتعبير عن العلاقة بين الرجل والملوخيا ؟ وهل الاحساس واحد فى الحالين ؟

والانجليز يفصلون بين هذين المعنيين باستعمالهم Love للأول و Like للثانى

ألسنا نرى هنا ان كلمة « أحب » كلمة عامة تدل على إحساسات مختلفة ولكننا نطلقها عليها جميعها لأننا كالمتوحش حين يسمى ما زاد على العشرة « كثير » ؟

ثم هناك حب الأم لأطفالها . ثم حب الأطفال للأم . وكلاهما أيضًا مختلف .

ثم حب الانسان لله . ثم وصية الدين لنا بأنه يجب أن نحب بعضنا بعضًا . ثم حبنا للمال . ثم هناك الحب بين الحيوان . بل ان السمكة نفسها لتحب أطفالها وتذود عنها .

فهل يصح أن تؤدى كلمة الحب كل هذه المعانى المختلفة ؟ ألا يدل قصور هذه الكلمة على قصور اللغات العصرية أرقاها وأدناها ، واننا مازلنا فى المرحلة الأولى من التعبير ؟

أجل . أن اللغات جميعها لا تزال فى طور التجربة ، وستبقى كذلك ما دام عقل الانسان يرتقى ويطلب الوضوح مكان الغموض ، والمعنى الموضوعى مكان المعنى الذاتي . ويكاد ارتقاء السيكلوجية يتوقف على هذا وحده ، أى على تفسير الاحساس الذاتي تفسيراً موضوعيًا . ومن هنا الصعوبة الكبرى فى ترجمة الشعر والدين والادب . لأن هذه الثلاثة تتصل بالمعانى الذاتية التى يشق على أبناء

أمة أجنبية أن يفهموها لأن البيئة الاجتماعية التى يعيشون فيها قد اختلفت وأحدثت عواطف مغايرة لما كان فى البيئة الأصلية التى وضع فيها الشعر والدين والأدب .

وكلمة « الحب » واحدة من مئات الكلمات الذاتية التى تتسع كل منها لجملة صور مثل كلمات الفهم ، والجمال ، والألم ، والسرور ، والحزن ، والنشاط ، والكراهة ، والحنان ، والمجد ، والسعادة ، والايمان ، والتعقل ، والوهم ، والغيرة .

وهناك كلمات أخر تتوهم منها انها موضوعية ولكنها تحدث لنا إحساسات وانفعالات ذاتية ، فتلتبس معانيها وتختلف فى دلالاتها . مثل الديمقراطية والحرية والاتوقراطية والاشتراكية والتعصب . فانها جميعها تدل على حالات نراها فى شعب أو جماعة . وكان يجب أن تكون موضوعية . ولكننا نقحم إحساساتنا الشخصية فيها فتعود وكأنها ذاتية .

فلو قيل لنا ان الهندوكيين يكرهون البوذيين فى الهند ويؤذونهم استطعنا أن نفهم معنى التعصب هنا ونحكم حكما موضوعيًا نزيهًا وذلك لأننا لسنا هندوكيين أو بوذيين . ولكن عندما يقرأ المسلم تاريخ الحروب الصليبية يجد نفسه مختلفًا كل الاختلاف مع القارئ المسيحى . لأن كلا منهما ينظر نظراً ذاتيًا لمعنى التعصب .

# اللغة القديمة واللغة العصرية

كل من يعرف اللغة الانجليزية يدرك الفرق العظيم بين اللغة التى كان يستعملها شكسبير حوالى سنة ١٦٠٠ وبين اللغة الانجليزية الآن . وهـذا الفرق هو فرق النمو والتطور . فان اللغة الانجليزية لم تجمد وتتحجر ولم يلتمس الكتّاب « جملا مختارة » من شكسبير كي يزخرفوا بها إنشاءهم بل أخذت اللغة تتميز بالتنفية والتنقية حتى اختلفت اختلافاً كبيراً من لغة شكسبير مع ان المدة بينهما لا تزيد على ٣٤٠ سنة .

ومما يذكر فى تطور اللغة الانجليزية ان الملك جيمس حين زار كنيسة سان بول الكاتدرائية عقب انتهاء المهندس من بنائها عبر عن إعجابه بها بهذه الكلمات Amusing, awful, artificial فسر المهندس غاية السرور . ولكن هذه الكلمات قد انتقلت فى عصرنا من معنى الاستحسان إلى معنى الاستقباح والاستهجان والاستهزاء .

وهذا هو التطور . وهذا هو الرقى . فان اللغة الحية التى يستخدمها مجتمع حى يجب أن تتطور . ومحاولة تجميد اللغة والتزام عباراتها القديمة وكراهة إيجاد الكلمات الجديدة إنما تعنى تجميد الأذهان وعرقلتها فى التفكير الناجع

حين كنت أحرر فى إحدى الجرائد كان بها شيخ مصحح يشرف على اللغة ويمنع تسرب الاخطاء . وكان رجلا طيب القلب جامد الذهن . فكان

يعارض فى كلمة « ماهية » الموظف ويضرب عليها ويضع بدلاً منها مرتباً أو أجراً . فكان المخبر الذى كتب الخبر يرى عقب طبع الجريدة ان وكيل الوزارة أو رئيس القلم قد زيد « أجره » فيهرول إلى الشيخ ويصرخ ويهيج . ولكن الشيخ يصر على ان كلمة « ماهية » لم ترد قط فى المعاجم بمعنى « أجر » . ولا عبرة باصطلاح الحكومة على المعنى الجديد لها .

وهذا هو النظر الجامد للغة ولو ان كتاب العرب القدماء كانوا قد التزموا هذا الجمود لقصرت اللغة فى التعبير ولكن فى اللغة العربية أكثر من ثلاثة آلاف كلمة رومانية واغريقية وفارسية . وهذا زيادة على المعانى الجديدة التى ألحقت بالكلمات القديمة فتخصصت الكلمة لمعنى معين بعد ان كانت عامة .

وهذا هو ما نفعل نحن الآن . فقد خصصنا :

الدستور للنظام الأساسى للدولة .

والصحيفة للجريدة أو المجلة .

والغارة لهجوم الطائرات .

والعلم للمعارف التى يمكن امتحانها بالتجربة أو ما يساويها فى التحقيق .

والاذاعة لما يصدر عن المحطات الاشعاعية .

والجامعة لمجموعة كليات مستقلة فى ثقافتها إلى حد ما ، الخ .

وبهذا التخصص ، وبايجاد كلمات جديدة ، مرنت لغتنا بعض المرونة وخدمت مجتمعنا . ولكن مشكلاتنا اللغوية لا تزال كثيرة وما زلنا نلتزم عبارات مقتبسة يعافها الذهن الذكي . ومرجع هذه العبارات تلك البلاغة العاطفية الانفعالية التى تعلمناها وغرست فى نفوسنا قيمة مزيفة للاستعارة والمجاز .

فما زالت صحفنا مثلا تقول :

عرض على بساط البحث ، بدلا من ، عَرض للبحث .

وخاض غمار القتال « « قاتل

حمى وطيس القتال « « حمى القتال

دارت رحى المعركة « « دارت المعركة

وضعت الحرب أوزارها « « انتهت الحرب

لتعزيز أواصر الثقة « « لتعزيز الثقة

صب جام غضبه « « صب غضبه

أطلق سراحه « « اطلقه

تتجاذب أطراف الحديث « « تتحدث

وقلّ منا من يقول : الحرب الضروس أو الموت الزؤام . ولكن العبارات السابقة التى ذكرت لا تزال ترى كل يوم فى جرائدنا على الرغم مما فيها من استعارات ومجازات يمكن أن نستغنى عنها ، بل على الرغم من كلمات تحتاج إلى مجهود كبير لتفسيرها لصبيانا مثل : وطيس . أوزار . أواصر . جام . رحى .

وفى استغنائنا عن هذه العبارات اقتصاد ذهنى ومادى . ويجب ألا يفهم القارئ أننا نعارض الاستعارة كائنة ما كانت ولكننا نعارضها : —

١ — حين يمكن الاستغناء عنها فيكون الاقتصاد الذهنى والمادى كما يتضح من الأمثلة التى ذكرنا إذ ألغيناها جميعًا ولم ينقص المعنى .

٢ — وأيضًا حين تعكس لنا مجتمعنا فان كلمات الوطيس والجام والرحى لا تتصل بمجتمعنا العصرى كما كانت تتصل بمجتمع العباسيين . وأولى من هذه الكلمات كلماتنا العصرية مثل قطار أو موطر أو تليفون الخ .

# المجتمع العربى القديم

خدمت اللغـــة العربية مجتمعين عربيين أولهما المجتمع البدائي حين كان العرب قبائل يرحلون وينتجعون . وقد ورثنا نحن من هـــذا الطور آلاف الكلمات عن الصحارى والابل والخيل والغزو والخيام . ولكننا لم نرث شيئًا من هذا الطور يتعلق بالزراعة أو الصناعة أو الحكومة . ثم خدمت اللغـــة مجتمعًا عربيًا آخر هو المجتمع الحضرى . وإذا قلنا « المجتمع الحضرى » فاننا نعنى مجتمع بغداد ، لأنها كانت بؤرة الثقافة العربية نحو أربعة قرون . وكانت مدن مصر وسوريا والمغرب والأندلس والحجاز تستوحيها وتستمدّ منها .

والمجتمع البدائى الأول لا نكاد ننتفع بتراثه اللغوى . أما المجتمع الحضرى الثاني فهو رأس المال الذى نستغله ونرجع إليه ونستمد منه . ولغتنا ما زالت هى لغتـه بكلماتها ومعانيها مع تغيير قليل فى بعض المعاني وزيادات فى بعض الكلمات . وقد خدمت اللغة هذا المجتمع الخدمة الصادقة . ولهذا السبب نفسه ، أى لصدق الخدمة التى قامت بها اللغة للمجتمع العربي أيام الأمويين والعباسيين والأتراك ، قد حملت كلماتها إلينا جواً غريبًا عنا . ونحن نشعر بهذه الغرابة حين نحاول وصف مجتمعنا ونبحث عن الـكلمة « الجوية » التى تؤدى معنى نحتاج إليه فى السوق والبورصة والمكتب والمصنع والمداولات السياسية والحقوق

المدنية والعلوم المادية الخ ، وحملت إلينا عادات ذهنية ما زلنا نستضرّ بها لأنها لم تعد تتفق وحياتنا العصرية . وإليك شرحًا موجزاً :

١ — كان المجتمع العربى ارستقراطيًا يعيش بكد العامل كما كان الشأن فى أوربا مدة القرون الوسطى . أو بكد العبيد . وكان لذلك يحتقر العمل اليدوى . وكانت الطبقة المتوسطة معدومة . ولذلك لا نستغرب اقتراح أحد الأدباء مدة العباسيين ألا يباع الورد للسوقة لأن هذا الزهر أجل من أن تتناوله يد العامل الخسيس . ولا نستغرب أيضًا أن يكون أوفى الكتب الأدبية التى نعتمد عليها فى تفهم المجتمع العربى القديم هو كتاب « الأغانى » وفصوله هى مجالس الأثرياء والخلفاء مع المغنين والمغنيات . واسم الكتاب وموضوعه يدلان على ارستقراطية الأدب الذى نشأ لخدمة المجتمع العربى الارستقراطى ، ثم ارستقراطية اللغة التى تعبر عنه .

ومجتمعنا الآن ديمقراطى أو نحن نحاول أن نجعله كذلك وننشد الديمقراطية فى الحكومة والعائلة والمدرسة . ولكن التراث اللغوى الارستقراطى الذى ورثنا من العباسيين لا يساعدنا على ذلك .

٢ — ثم كان هذا المجتمع حربيًا . فان الصراع بين الدولة الرومانية والدولة العربية أحال اللغة إلى خدمة الحرب . فزكت الخطابة والشعر . خطابة الحرب وشعر الحرب . وكثرت كلمات العاطفة والانفعال — الكلمات الذاتية — لأن المجتمع العربى كان معسكراً يحتاج رجاله إلى ما يملأ قلوبهم حماسة . وقد ورثنا هذا التراث مع ان مجتمعنا سلمى يحتاج إلى كلمات السلم وليس إلى كلمات الحرب .

٣ — كان المجتمع العربى القديم يعيش فى ظل حكومة استبدادية لم تعرف قط معنى البرلمان أو المجلس البلدى . ولذلك نحن نحمل عبء الكلمات العربية التى خدمت هذا المجتمع الاستبدادى ونحاول تحميلها المعانى الديمقراطية الجديدة

أو نصطنع الكلمات الجديدة مثل « برلمان » لكى نؤدى معنى لم تعرفه الثقافة العربية القديمة .

٤ — لم يكن المجتمع العربى القديم يعيش على المعارف والمنطق إلا فى أقله ، وكان يعيش على العقائد والغيبيات فى أكثره . ولذلك يشق علينا فى مجتمعنا أن نؤدى المعانى للمعارف المادية لأن لغتنا حافلة بكلمات الغيبيات والعقائد دون كلمات العلوم الجديدة .

والنتيجة لهذه الحالة اننا نجد صعوبات لغوية خطيرة كلما حاولنا معالجة المعارف العصرية . لأن لغتنا قضت شبابها وهى تلابس مجتمعاً ارستقراطياً حربياً عقيدياً فكثرت مصادرها اللونية التى تعبر عن حاجات هذا المجتمع . فكانت لغة الخطابة والشعر والغيبيات بل لغة اللهو والأغانى والقتال . ولكننا نحن نختلف من العباسيين والأمويين من حيث ان حضارتنا قد صارت تنشد الديمقراطية وتنهض على الصناعة وتعتمد على المعارف والماديات دون العقائد والغيبيات .

ومن هنا صارت البلاغة القديمة بلاغة الارادة تعبر عن شهوات ورغبات . وليست بلاغة المنطق التى تعبر عن العقل والذكاء . كما حفلت اللغة برواسب من الكلمات التى لا ننتفع بل نستضر بها كلما حاولنا تحريك المجتمع . لأن التحريك يعود هنا تعكيرا .

# الكلاسية داء الادب العربي

كل لغة تحتاج الى شيء من الكلاسية نعني النزعة التليدية حين يتصل الأديب بأسلافه من الأدباء يتذوق مؤلفاتهم وينغمس في أمانيهم ومثلياتهم ويقتني بذلك التراث الذهني السابق . وفي كل عصر نجد الكاتب الذي ينزع الى تليده والكاتب الذي ينزع الى طريفه . وهما ليسا خصمين ولكنهما متعارضان . وقد ينتفع أحدهما بالآخر اذا لم يكن الفرق بين الطارف والتليد ، عظيما ، كما يكون أحيانًا أيام الثورات والانفجارات الاجتماعية . ففي هذه الأيام تتقهقر النزعة التقليدية وتبرز النزعة التجديدية . ويحدث العكس أيام الاستقرار حين تقنع الأمة بالكلاسية وتطمئن الى التقاليد بل تتعلق بها وتخشى التجديد والتغيير . وبدهي لهذا السبب ان الكاتب الذي ينغمس في الكلاسية انما يفعل ذلك لأنه يعيش في بيئة أدبية راضية عن التقاليد كارهة للتجديد . والكلاسية ليست في الواقع شيئًا أكبر أو أصغر من التقاليد الفكرية والأدبية

لما كان فولتير في انجلترا ذكر له أحد الناقدين الانجليز قول شكسبير في رواية هاملت

« فما تحرك فأر »

واستحسن هذا التعبير لما فيه من بساطة . ولكن فولتير أجابه بقوله : « ماذا تقول ؟ ان الجندي يستطيع أن يجيب هذه الاجابة في ثكنته . ولكن لايجوز هذا على المسرح أمام اسمى الاشخاص في الأمة اولئك الذين يتحدثون

بلغة شريفة . ولذلك يجب أن يجدوا مثل هذه اللغة عندما يستمعون »

وكان فولتير هنا كلاسيًا تليدياً ينشد الفخامة والروعة فى الكلمات . وكان قد ترك فرنسا الملوكية الرجعية التى يتلألأ فيها عرش لويس الرابع عشر أو الخامس عشر تحيط به نجوم من النبلاء والأمراء والسيدات المزينات باللآلىء التى جمعت أثمانها من أقوات الملايين من الشعب . وعاش فولتير فى هذا الوسط . ومع أنه ثار عليه بعد ذلك ، فانه كان قد تلبس بمزاجه ونزع نزعته . فكان الكاتب التليدى . كما كان جان جاك روسو الكاتب الطريفي . وأوربا لاتزال الى الان فى مشكلاتها ومثلياتها تستنير بضوء روسو فهي ثائرة متغيرة لما تستقر

ولكن انجلترا التي زارها فولتير ، والتى الف فيها شكسبير ولم يأنف من ذكر الفأر فى درامة عالية مثل هاملیت ، انجلترا هذه لم تكن رجعية اذ لم يكن فيها عرش مستبد كالعرش الفرنسى . وكانت قد استقرت فيها الحرية والبرلمانية بعد قطع رأس تشارلس الأول . ثم كانت الحركة التجارية قد أوجدت فيها طبقة متوسطة طريفية يحضر أفرادها دور التمثيل . وكل هذا جعل الوسط الأدبي غير تليدي

وداء اللغة العربية فى جميع الأقطار العربية هو داء الكلاسية الرجعية التليدية . وليس هذا الداء جديداً . فاننا نجد أثره مثلا حين نقرأ عن رفض احدى قصائد أبي نواس وهو المجدد العظيم فى مباراة أدبية على ما نذكر . وكذلك لما دخل جنكيز خان بغداد ألغى كلمات التفخيم التقليدية وألحّ فى وجوب التبسيط اللغوي . وهنا يقول ابن عرب فى كتابه « فاكهة الخلفاء » :

« فكان فى المكاتبات . . . . لا يزيد على وضع اسمه . . . . من غير مجازات واستعارات . . . . وكذلك الأمراء والوزراء . . . . ولما فرغ من ترتيب هذه القواعد الملعونة وخرج بها على خلاف الشريعة الميمونة . . . . » الخ . الخ .

فنحن هنا ازاء رجل مغولى دخل الأقطار العربيـة وليس له فيهـا تقاليد اجتماعية أو دينية أو أدبية فعمد الى تبسيط اللغة فلا حضرة ولا جناب كما يقول مؤلف فاكهـة الخلفـاء الذي يحنق الى درجة أنه يجد فى هذا التغيير فى اللغة مخالفة « للشريعة الميمونة »

أي أنه لم يختلف هنـا مما يقول الدكتور زكي مبارك حين ألف كتابه عن « اللغة والدين والتقاليد » حيث يرى الارتباط بين الثلاثة وحيث يكره ـ أشد ما يكره ـ حرية المرأة حتى أنه ذكر أنها تستحق الضرب بالحذاء على رأسها وأن والده كان يفعل ذلك بزوجاته . وهو هنا ينساق فيما يتوهمه من تقاليد عربيـة

وحين أسست الحكومة المصرية مدرسـة دار العلوم وقصرت الملتحقين بها على المسلمين دون المسيحيين أو اليهود انما نظرت أيضًا هذه النظرة أي أنها رأت ارتباط اللغة بالدين والتقاليـد . فاللغة عند زكي مبارك ، وابن عرب ، والحكومة المصرية ، ليست لغة الديمقراطية والاتومبيل والتلفزيون بل هي لغة القرآن وتقاليـد العرب . ولابد أن ابن عرب يفرح ويطرب ، لو أنه بعث فى عصرنا ، حين يجد أننا خالفنا جنكيز خان « الذي كان فى المكاتبات . . . لايزيد على وضع اسمه . . . من غير مجازات واستعارات » ذلك لأننـا نقول الآن صاحب المعالي وصاحب السعادة . . . ( كتب هذا في ١٩٤٥ . وقد الغيت هذه الالقاب في ١٩٥٢ )

وخلاصة القول أن الداء الأصيل فى اللغة العربية هو الكلاسية التليدية . وهي لذلك لا تكتسب طريفًا لأنها قانعة بتليدها . وهذه حال يجب ألا نرضاها نحن . لأنها تحول دون أن نكون أمة عصرية

وصاحب المعالى وصاحب السعادة وضرب المرأة بالحذاء على رأسها لن ينجينا من مثل جنكيز خان بأسلوبه العصري

ويستطيع القارئ الذكي أن يردّ هنا بأنه عندما يتغير الوسط الاقتصادي يتغير الوسط الاجتماعي . أي عند ما نصير أمة صناعية لابد أن تتغير اللغة وتقبل الطريف

وهذا صواب . ولكن قبل ذلك يجب أن نعرف لماذا نكره إلغاء الاعراب وتبسيط التعبير ( فأر شكسبير ) واصطناع اللغة العامية كي نعبر الهوة التي تفصل بين الأدب والشعب واتخاذ الخط اللاتيني . . . وأيضًا حرية المرأة .

# الايحاء الاجتماعى للكلمة

فى ١٨٧٠ كانت فرنسا يتسلط عليها الامبراطور نابليون وكان مفكروها يكرهون النظام الامبراطورى ويطلبون إلغاء العرش وإعادة الجمهورية . فكان مما كتبه الأديب الكبير فلوبير قوله ان الشعب الفرنسى يتعلق بالامبراطورية لأنه مخدوع باسم نابليون . أى ان اسم نابليون الأول قد ترك فى التاريخ رنيناً ودوياً كانا لا يزالان يحدان الصدى فى النفس الفرنسية . ولذلك فان كلمة « نابليون » كانت توحى إلى الشعب حباً وتعلقاً فى غير مكانهما لأن نابليون الثالث لم يكن يستحقهما ١٨٧٠ .

وفلوبير على حق . فان للكلمات إيحاء سياسياً أو اجتماعياً أو دينياً . فما هو أن ننطق بالكلمة أو تخطر هى ببالنا حتى تنطلق طائفة من العواطف تحرك إرادتنا وتعين سلوكنا وتفكيرنا . وقد سبق أن قلنا ان كلمات الدم ، والانتقام ، والثأر ، تحدث نحو ثلاثمائة جناية فى بعض مديريات الصعيد . كما ان كلمتى شرق وشرقيين تحدث بين بعضنا صدودا عن الحضارة العصرية كأننا فى حرب مع الأوربيين وان هذا الصدود يؤذينا فى تطورنا . ولا يزال عندنا من الكلمات والعبارات مايوحى إلينا إيحاء سيئاً يتعارض مع الروح الديمقراطى الذى نرجو أن نعممه فى المجتمع والحكومة والعائلة . من ذلك مثلاً قولنا «أبناء البيوتات» أو « حرم فلان » أو « أمّ فلان » .

ولكل كلمة إيحاؤها الذى يقوى أو يضعف . وكثيراً ما ينعدم التفكير لانعدام الكلمة . فان المبشرين الذين عاشوا بين القبائل البدائية أو المتوحشة

فى أفريقيا السوداء كانوا يجدون مشقة عظيمة بل أحياناً استحالة فى شرح الديانة المسيحية لأن لغة هذه القبائل لم تكن تحتوى كلمات تدل على الله أو الجنة أو جهنم أو النعمة أو المجد أو الصدق .

وكثير من فضائلنا ورذائلنا معاً يرجع إلى الكلمات . فلو لم تكن هناك كلمتا الصدق والكذب لكان من الشاق علينا أن نفهم معنيهما . وكلمة «الشهامة» توحى إلينا أسوأ العواطف .

اعتبر مثلاً أيها القارئ طبيباً وحشاشاً يتحدث كل منهما عن الأعضاء التناسلية . فالأول يذكر كلمات لا تحرك عاطفته أو تهكمه أو سخريته . ولكنها تحرك ذهنه . لأنها كلمات يقصد منها إلى المعارف . ولكن الحشاش يذكر كلمات توحى العاطفة الجنسية أو التهكم أو السخرية . فالموضوع هنا واحد . ولكن اختلفت معانيه باختلاف الكلمات التى تستعمل فى وصفه . وهنا يجب أن نذكر ان كثيراً من توجسنا من الحب واختلاط الجنسين يرجع إلى اننا نستعمل كلمات الحشاشين سواء أكانت فصحى أم عامية فى وصف هذه العلاقات الجنسية بدلاً من كلمات العلماء أو المثقفين . ولذلك كلما فكر بعضنا فى الحب أو اختلاط الجنسين على الشواطئ أو العرى خطرت بذهنه كلمات توحى البذاء أو العهر فيصد ويصرخ فى الدعوة إلى انفصال الجنسين .

فأحدنا المتعلم المثقف العصرى حين يفكر فى الاستحمام والشواطئ واختلاط الجنسين تخطر بباله هذه الكلمات : الصحو : الأوزون . فيتامين . السباحة . هواء البحر المعقم . المؤانسة . الرياضة . النحافة . الرشاقة .

وأحدنا الآخر غير المتعلم أو بالأحرى غير العصرى تخطر بباله هذه الكلمات : الارداف ، الاكفال ، البطن المتعكن ، وصدر مثل حق العاج رخص ، وكلمات أخرى تخطر ببال الحشاشين فتؤدى إلى تفكير الحشاشين . ثم إلى الصراخ بالعيب والعار على الشواطئ .

والحب نفسه يتكيف بالكلمات التى تستعمل فى وصفه أو شرحه بين المحبين . فهو عهر بين شاب وبغى . وهو كذلك بين الحشاش وزوجته . ولكنه يرتفع إلى الطهر والشرف بين المثقفين الذين يستعملون الكلمات السامية المهذبة لكل ما يتصل باعضاء الخلود البشري .

والايحاء الحسن من الكلمات كثير أيضاً . فانظر إلى قولنا : « الروح الرياضى » وكيف تؤثر هذه العبارة كالسحر وتبعث عاطفة حسنة فى الشاب حين يجور أو يغضب . وانظر إلى قولنا : يجب أن تكون جنتلمانًا . فان هذه الكلمة الانجليزية تجمع من المعانى ما لم نوفق نحن ولا غيرنا مثل الفرنسيين أو الايطاليين إلى مثله باحدى كلماتنا . ولذلك استعملت فى اللغات الثلاث .

ولما خرجنا نحن من ظلام القرون الوسطى وجدنا من المعانى فى اللغات الأوربية ما لم نجد مايقابله فى لغتنا فاخترعنا الكلمات التى تؤديها . فقلنا : عائلة . وتطور . ووطنية . وشخصية . ودستور . وثقافة . وعالمية . ومسئولية . وأخاء .

وهذه الكلمات أحاطتنا بجو حسن من التفكير العصرى يجعلنا نتابع تطورات العالم ونفهم مشكلاته . ولم تكن هذه الكلمات التى ذكرنا معروفة فى لغتنا ، أو كان بعضها معروفاً ولكنه لا يحمل هذه المعانى العصرية التى نلصقها بها مثل ثقافة ، واخاء ، ودستور ، التى نجدها فى المعاجم ، ولكنا لا نجد لها معانيها العصرية

واذكر أيها القارئ الجو السيئ الذى يبعث تفكيراً سيئاً فى صبياننا عندما يركبون الترام أو يسيرون فى الشارع فيسمعون الباعة الجائلين يشتم بعضهم بعضاً بذكر الأعضاء التناسلية بكلماتها الفجة ، فان الصبى ينشأ وقد تلبس بالمعانى الفجة التى لهذه الكلمات ، وهو عند ما يبلغ الشباب يجد ان علاقته بالمرأة مكيفة مصوغة إلى مدى بعيد بهذه الكلمات ، وهو يشقى بهذا

والصبي حين يقرأ المجلات الأسبوعية تعلق بذهنه كلمات من النكات الجنسية تعيّن له السلوك الجنسى فى المستقبل أو تؤثر فيه ذلك لأن لكل كلمة إيحاءها الذي يندس فى العقل الباطل ويكوّن لنا عادات فى التفكير والأخلاق ويجب لهذا السبب أن نحيط أبناءنا بالكلمات المثلى التى تبعث التفكير الحسن ، كما يجب علينا نحن الكبار ألا نستسلم لايحاء الكلمة بل ننظر من خلالها إلى المعانى المختفية التى لا تتفق والحقائق فنميز بين الكلمة الذاتية وبين الكلمة الموضوعية ، وليس هذا بالمجهود اليسير ، وقل منا من ينجح فيه ، ومعظمنا ينجح فى الكشف عن قليل من الكلمات وتحرى محتوياتها من غموض أو وضوح ومن خير أو شر ، ذلك لأننا نتسلم الكلمات منذ الطفولة فننشأ على تصديق ما يقول به العرف عنها ، ثم نقبل ما تبعثه فينا من عواطف ، فاذا شببنا أخذنا غيرها من الكلمات وبقدر ما عندنا من ذكاء ناقد تكون قدرتنا على التخلص من بعض إيحاء

وذكاؤنا الناقد محدود بالعمر والكلمات غير محدودة إذ هى تراث آلاف السنين

# الاقوال أفعـــال

من الأوصاف المألوفة أن نقول عن أحد الزعماء أو الساسة أنه « رجل أقوال وليس رجل أفعال » وأحياناً نسمع من ينبهنا الى أن الكلام غير العمل. وقد كان نابليون نفسه يصف الأدباء بأنهم « تجار الكلمات » ولأبي تمام شطرة من بيت كثيراً ماتذكر هي « السيف أصدق أنباء من الكتب »

والواقع أن أبا تمام لم يقل كلمة هي أبعد عن الصحة والحقيقة من هذه الشطرة . لأن السيوف لاتتحرك إلا للكلام الذى سبقها والكلام هو القوة الروحية المتسلطة والسيف هو القوة المادية الخاضعة . أليس من الواضح أن السيوف انما جردت فى حروب العرب والرومان لأن كلا منهما كان يفكر بكلمات تحمل قوات ذهنية وروحية ونفسية تختلف مما كانت تحمله الكلمات الأخر عند الفريق الآخر ؟

ثم انظر الى نابليون . لقد ضاع كل ما فتحه بالسيف فى أوربا وأفريقيا قبل أن يموت . أما الكلام الذي رتبه فى « قانون نابليون » فلا يزال حياً الى الآن . ولو أن نابليون عنى بالكلمات ولم يحتقرها لكان إلى جنب سيوفه ومدافعه دعاية لمذهبه الجديد فى الحكم من حيث اتحاد أوربا وإلغاء النظام الاقطاعي . ولكنه أهمل هذه الدعاية ولذلك استطاع أصحاب الكلمات القديمة بزعامة مترنيخ أن يفوزوا عليه وأن يطفئوا نور العصر الجديد ـ إلى حين

ونحن البشر نختلف من الحيوان من حيث أن أحسن أعمالنا هو أقوالنا أي هو كلماتنا التى نعين بها المبادىء والمثليات . ولقد فتح الاسكندر الدنيا

المعروفة فى زمنه . فما هو أن مات حتى تشتت . ولكن استاذه أرسطوطاليس رب الكلمات لا تزال كلماته حيـة بعد ٢٢٠٠ سنة من وفاته .

وقد خابت الحرب الكوكبية الأولى لأن عدتها من الكلمات كانت أقل من عدتها من السيوف والمدافع . فلما انتهى عمل السيوف والمدافع وهزمت ألمانيا وجاء السلم لم تجد كلمات ولسون الجو الملائم لنموها فذبلت وماتت أمام الأعشاب التى زرعها كليمنسو ولويد جورج . ولو أن كلمات ولسون نجحت ووصلت إلى قلوب المتمدنين ، ولو أنها كانت قد عبئت بالقوة التى عبئت بها السيوف والمدافع ، لثبت السلم وعم العالم . وما كنا عندئذ لنقع فى هذه الحرب الكوكبية الثانية .

وقد احتاج هتلر الى نحو عشرين سنة وهو يعبىء الكلمات ويشحنها بشحنات عاطفية قوية تحمل الشعب الألماني على التهيؤ الروحى للصراع الذي ابتدأ فى أول سبتمبر من سنة ١٩٣٩ . وأنا أكتب الآن فى ابريل سنة ١٩٤٤ وقد خسرت ألمانيا شيئاً عظيماً جداً من قوة السيوف والمدافع ولكن قوة الكلمات النازية لا تزال تدفعها إلى المقاومة .

وما هي المثليات والمبادىء إلا الكلمات ؟ بل ماذا أعطانا الدين غير الكلمات كأن كل كلمة شعار أو مبدأ نبنى عليه خطط الحياة ؟ وهل نسى أبو تمام أن المسيحية تركت كتاباً وأن الاسلام ترك كتاباً وكذلك فعلت سائر الأديان وأن هذه الكتب أصدق أنباء من السيوف ؟

ومن منا ينسى الكلمات الثلاث : الحرية ، المساواة ، الاخاء ، هذه الكلمات التى أحدثت الثورة الفرنسية وغيرت المجتمع فى أوربا ولا تزال تغير مجتمعات اخرى فى غير أوربا

وميزة الأعمال التغيير . ولكن هذه الميزة نفسها تلصق أيضاً بالأقوال . لأنه ما من كلمة تقولها فى المجتمع إلا وتحدث تغييراً

كان أبو تمام شاعراً عربياً وكان ملتون شاعراً انجليزيًا . وقد قال الأول كلمته الكاذبة البشعة : « السيف أصدق أنباء من الكتب » وقال الثاني : « من يقتل انساناً فانما يقتل مخلوقاً عاقلا هو صورة الله . ولكن من يهلك كتاباً طيباً فانما يهلك العقل نفسه وكأنه يضرب صورة الله فى عينها . . . الا أن الكتب ليست أشياء ميتة على الاطلاق اذ هى تحتوي قوة الحياة لأن تنشط كتلك النفس التى هى ( الكتب ) من سلالتها »

والحرب القائمة هى حرب بين كلمتين . الديمقراطية والفاشية

أجل . ان هناك أقوالا ليست أفعالا . وهناك كلمات ميتة هى تلك التى تنفصل من المجتمع وتعتكف فى معبد أو فى كتب قديمة لا يقرأها الشعب . ذلك لأن أخص خصائص اللغة هو اجتماعيتها . فاذا لم يتكلم بها الشعب ولم يجر التفاعل بينه وبينها فقدت قيمتها العلمية ولم تعد الأقوال أفعالا .

ولغتنا العربية من ناحية العلوم ميته . ولذلك نحن لا نعيش المعيشة العلمية ولا يتحرك مجتمعنا التحرك العلمى الذي تقتضيه معارف البيولوجية والكيمياء والسيكلوجية والهيجين الخ . وكذلك يعد أدبنا ميتًا لأنه ليس أدب الشعب ، عامة الشعب وملايينه . اذ هو يكتب بلغة لا تفهمها هذه الملايين .

وحيوية اللغة تقاس بقدر ما فيها من أفعال . وأفعالها تقاس بقدر تفاعلها مع المجتمع الذى ينطق بها . فاللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية أكثر أفعالا من اللغة العربية لأنها أكثر تفاعلا مع المجتمعات التى تنطق بها وأكثر اتصالا بالعلوم العصرية التى تتحرك بها هذه المجتمعات .

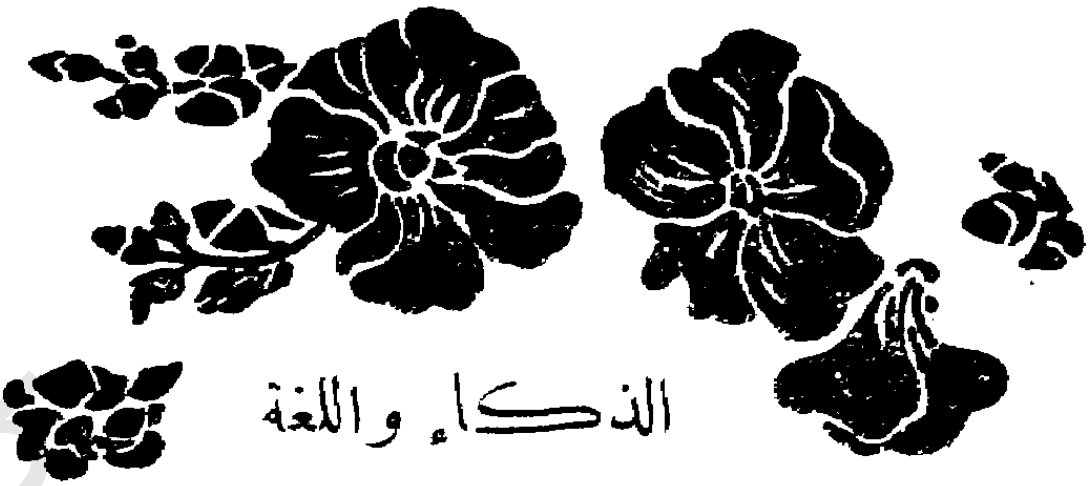

# الذكاء واللغة

ليس هذا مقام البحث عن الكلمات هل هى أصل التفكير أم التفكير أصل الكلمات . واعتقادنا أن التفكير ممكن بلا كلمات ولكن فى صورة بدائية مضطربة كما نفكر فى الأحلام . وواضح أن أحلامنا حين تكون على مستوى خامد راكد بالنوم تجرى بلا كلمات صورة تأخذ مكان صورة ومنظراً يتلو منظرا .

ونحن الكتّاب كثيراً ما نجد عندما نحلل تفكيرنا أنه ينبعث ويتصل بالكلمات . ومما لاشك فيه أن هناك بين المتوحشين والبدائيين أذكياء من الطراز الأول . ولكن ذكاءهم يبقى عقيماً لأنهم حين يفكرون يجدون تفكيرهم محدوداً بالتراث اللغوي المحدود الذي ينطقون (ويفكرون) بكلماته . واللغة لهذا السبب هى أعظم المؤسسات الاجتماعية فى أية أمة لأنها الوسيلة لتحريك الذكاء فى أبنائها ولتوجيه أخلاقهم بكلماتها التى تعبر عن المعرفة أو العقيدة أو الحكمة . ومن المحال أن تطمع الأمة فى أديب من أبنائها إذا كانت لغتها غير أدبية كما أنه من المحال أن تطمع فى عالم إذا كانت لغتها غير علمية

والفرنسيون معروفون بالمنطق والوضوح والدقة فى تفكيرهم ، واعتقادنا ان هذه صفات لغتهم أكثر مما هى صفات أذهانهم ، فانهم من حيث السلالة لا يختلفون ممن حولهم من الأمم الأوربية ولكن اللغة الفرنسية تحتوى كلمات وعبارات فى غاية الوضوح والدقة بحيث ان المعنى يبرز بأكثر مما

يبرز فى أية لغة أخرى ، ولذلك كثيراً ما نجد الكاتب الانجليزى يعبر فى غضون إنشائه بكلمة أو عبارة فرنسية يحس ان كلمات لغته لا تؤديها ، وعناية الفرنسيين بتعليم لغتهم فى المدارس تفوق أية عنـــاية تبذلها أمـــة أخرى فى تعليم لغتها لأبنائهـا

ويجب لذلك أن تـكون الرسالة التعليمية الأولى لأية مدرسـة مصرية هى تعليم اللغة العربية ، وأن تـكون غاية هذا التعليم إيجاد الـكلمات التى تحرك ذكاءنا بالتفـكير الحسن وأن يكون هدف المعلم ليس العبارة الجميلة ، بل الكلمة الناجعـة ، التى لا يمكن أن تقوم مقامها كلمة أخرى . ولهذا يجب أن تتجه نحو الأسلوب الاقتصادى المضغوط فنقاطع المترادفات ولا نحمّل التلميذ عبء كلمات لا ينتفع بها فى تفـكيره العصرى . فان من يدرس ديوان المتنبى يجد فيـه نحو ألف كلمة جديدة غير مألوفة فى الصحف أو الـكتب العصرية . ولـكن هـذه الـكلمات لا يمكن الشاب المصرى أن ينتفع بها فى عصرنا لأنها تصف مجتمعاً حربياً يخالف مجتمعنا . وهى لا تحرك ذكاءنا أو تحدد المعانى لمعارفنا كما انها لا تـكسبنا الاتجاه الأخلاق أو الفلسفى .

---

وفى هـذا القرن العشرين الذى نعيش فيه تحتاج كل لغة متمدنة إلى ان تحوى الـكلمات الاجتماعية البارة التى توجه نحو الخـير . والـكلمات العلمية والفنية التى تصف وتعالج مئة وعشرين علمـاً وفناً . ومجتمعنا يجب أن يكون فى أكثره مجتمع المعارف والمنطق وفى أقله مجتمع العقائد والعاطفة . ولذلك يجب أن تحوى كل لغة كلمات المعرفة الدقيقة التى لا تلتبس مع كلمـات أخرى حتى إذا فـكرنا بها سار تفـكيرنا على مستوى الذكاء الذى يمكننا من أن نعيش المعيشة العلمية فى مجتمع علمى

وخلاصة القول انه يجب علينا :

١ — أن نعنى أكبر العناية بتعليم أبنائنا لغتهم الوطنية لأنها وسيلة التفكير التى تحرك ذكاءهم وهى لذلك أثمن مؤسساتنا

٢ — أن تكون البلاغة بلاغة المنطق والمعرفة بدلاً من بلاغة الانفعال والعقيدة . كما يجب أن تتوقى المترادفات والكلمات الملتبسة وأن نميز بين الكلمة الذاتية والكلمة الموضوعية .

٣ — أن يتأنق التلميذ فى تعبيره ولكن تأنق الذكاء وليس تأنق البهرجة البديعية .

٤ — أن يحس المشرفون على اللغة ان كل تقصير فى إيجاد الكلمات التى تؤدى إلى الفهم العلمى إنما هو تعطيل لتطور الأمة .

٥ — أن نذكر انه على قدر ارتقاء اللغة ووفرة كلماتها ودقه معانيها يكون الانتفاع بذكاء أبناء الأمة .

# كلمات تبنى الاخلاق

للكلمات إيحاء اجتماعى للخير أو للشر . وكثير من الكلمات يحمل شحنة عاطفية انفجارية للشر مثل كلمة « دم » فى الصعيد ، أو للخير مثل كلمة « مروءة » فى أنحاء العالم العربى .

وفى اللغة العربية كلمات مثل المروءة والبر والشهامة والفتوّة والمجد . وهى تحف لغوية يجب أن نقتنيها فى بيوتنا ونعتز بها ونعرضها على أبنائنا ونتحدث عنها . وما أسماها من كلمات كل منها بمثابة المؤسسة الاجتماعية التى تبعث الخير وتعمم الشرف أينما وجدت . وإذا كانت المجتمعات العربية القديمة قد قصّرت فى فن الحكومة ، لأنها لم تعرف البرلمان أو المجلس البلدى ، فان هذه الكلمات قد استطاعت فى أحايين كثيرة أن توجد المجتمع البار وأن تقيم العدل مكان الظلم وأن تحمل على الطموح والتطلع إلى السماع . وأربع من هذه الكلمات الخمس أو على الأقل ثلاث لا يمكن ترجمتها إلى اللغة الانجليزية . ولست أقصد هنا من الترجمة أن نجد الكلمة التى يدل اشتقاقها فى الانجليزية على انها ترادف العربية . بل أقصد الجو الاجتماعى التى تحدثه كلمات مثل المروءة أو الفتوة أو البر . فانى أجزم بأن اللغة الانجليزية لا تستطيع التعبير عنها .

ولو كانت لغتنا تحوى خمسين من هذه الكلمات بل التحف الغالية لكان فى مقدورنا أن نبنى بها أخلاق الأمة ونعين لها النفسية التى تعيش بها فى سعادة ورفاهية . ولو كانت الأمم العربية تكسب فى كل مئة سنة كلمة جديدة لها

هذه القوة فى الخير لصار المجتمع العربى أسمى المجتمعات فى التفكير العاطفى .

وقد يمكن السيكلجى أن يقول ان هذه الكلمات انما عبأت هذه العواطف السامية لأنها كلمات تعويضية أى ان المجتمع العربى فى القرون الماضية ، لما كابد من مظالم حكوماته ، قد تعوض بهذه الكلمات من هذه المظالم ، فأقام عدلاً اجتماعياً مكان الظلم الحكومى أو إلى جانبه .

انظر إلى كلمة « مروءة » وما تحمله إلينا من المعانى السلبية والايجابية التي تكفّ وتغرى . فليس من المروءة الا نغيث السائل المحتاج أو نخون الأمانة أو ننكث العهد . ولكن من المروءة أن نتجاوز عن حقوقنا عند المحتاجين وأن نتصدق حتى ولو كنا مخدوعين وأن نعين العاجز ونسعف الملهوف . قال الزمخشرى : المروءة هى كمال الرجولة . وقال المصباح : « المروءة اداب نفسانية تحمل مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات » .

ولكن أين تعريف المعاجم هذا الجامد مما يعرفه جمهورنا عن هذه الكلمة السامية ؟ فان أحدنا ليقول : « دعك من هذا الرجل فانك لن تجد عنده مروءة » وكأنه قد حكم عليه بالاعدام المدنى .

واذكر أيها القارئ كم من موقف قد احتشدت فيه الدنايا والخسائس وطغت فيه الظلمات الحيوانية على الروحية الانسانية وإذا بهذه الكلمة ينطبق بها واحد فتنفجر منها قوة للخير فيخسأ الظلم وينهزم العدوان ويخفت صوت الحيوان ويعلو صوت الانسان .

ثم انظر إلى كلمة « بر » . ونحن نقول فى أيامنا البر الاجتماعى ولكن فى المعنى الأصلى وهو البر بالوالدين ، علاقة عائلية حميمة ما أشرفها وما أجملها

أو انظر إلى كلمة الفتوّة . فان هذه الكلمة ، لما حملته من المعانى البارة ، بعثت أفراداً فى المجتمع العربى على تأليف جمعيات للخير والشهامة والمجد . فكان منهم « فتيان » يخدمون الفضيلة ويرفعون أنفسهم إلى مستوى عال من

السلوك والأخلاق . قال الزمخشرى « الفتوة هى الحرية والكرم » .

وحسب كلمة ان يكون بها من القوة الانفجارية للخير أن تتألف الجمعيات بايحاء لفظها .

فهذه كلمات ثلاث خدمت المجتمع العربى وعينت له أهدافاً من الشرف والسمو وبنت له من الأخلاق التى كان الحكم الجائر يهدمها . وكما قلت ، لا يمكن ترجمة هذه الكلمات إلى اللغة الانجليزية . لأن لكل منها معنى حميماً يتصل بالمجتمع أو العائلة فى جونا العربى .

فاذا أضفت إلى هذه الكلمات كلمات اخر مثل المجد والشهامة والنخوة ، عرفت قيمة هذه الكلمات التى يعد كل منها شعاراً يهتدى به الفرد فى مجتمعه ويجد الاتجاه السديد نحو الملاءمة الاجتماعية .

ومهمة الأديب أن يوجد مثل هذه الكلمات فى لغته . لأنه عندئذ ينقل الجزاءات من المحكمة والسجن إلى المجتمع والضمير . فالشاب الذى انغرست فيه معانى هذه الكلمات وما يقاربها لا يحتاج إلى ان تنصب له الميزان الأخلاقى بالقوانين والمحاكم لأن هـذه الكلمات قد أقامت هذا الميزان فى ضميره . فالدافع والوازع معاً داخليان هنا بالضمير وليسا خارجين بالمحكمة والقانون .

وليست الكلمات سواء . فهناك من الكلمات ما نستعمله فنرتفع فوق أنفسنا فى الذكاء أو العاطفة . بل أكثر من ذلك . فانى أكاد أقول ان بعض الكلمات يجعل الناس أذكى مما يتوهمون كما ان هناك كلمات تجعلهم أشرف وأشهم مما يحسون . وقد تكون الكلمات أربطة اجتماعية تضمد وتجمع كما قد تكون سموماً تفكك المجتمع وتنساب فيه شروراً .

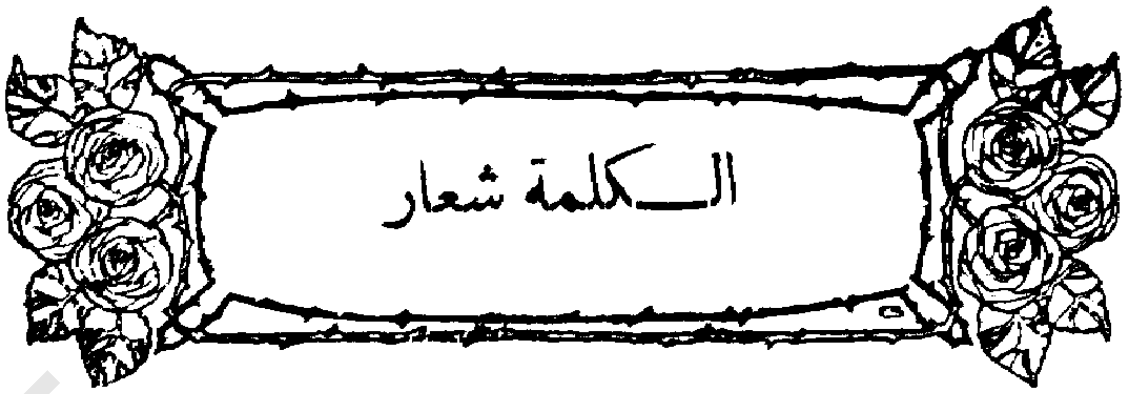

# الـــكلمة شعار

فى الفصل السابق ذكرت بضع كلمات عربيـــة قديمة يصح ان يكون كل منها شعاراً ينضوى إليـه ويعمل به كل شاب . بل يصح أن تؤلف الجمعيات للدعوة إلى المبادئ التى تقول بها . فنقول « جمعية المروءة » او «جمعية الفتوة» او « جمعية الشهامة » وندعو الشبان والفتيات الى اتخاذ المبادئ التى تنطوى عليها كل من هذه الكلمات .

وأي شئ هو اثمن فى اية لغة فى العالم من أن تحمل كلماتها او بعض كلماتها المبادئ الاجتماعية السامية التى ينتظم بها المجتمع ويسير بها افراده عفو قلوبهم سيرة الشرف والاستقامة والطيبة ؟

والأمة المتطورة تحتاج إلى كلمات جديدة تحمل لهـا الهداية العصرية والأهداف الاجتماعية كلمات تمتـاز بالايحاء الذي يحيل المجتمع الموات إلى مجتمع حى يقظ ، كلمات يحس الفرد نشوتها بل يتأثر بكيميائها .

ويجب ان اقول اننا نحن فى مصر قد قطعنا شوطاً كبيراً فى هذا الميدان فاخترعنا الكلمات التى توجه وترشد . وكان من حظى ان اقوم بنصيب حسن فى هذا الميدان .

انظر إلى كلمات : وطنية . عائلة . شخصية . مجتمع . ثقافة . تطور . عالمية . تجديد . رجعية . ثورة . فانها جميعها كلمات حيوية تؤدي وظائف فسيولوجية فى المجتمع الحى . وليس فى المعاجم العربيـــة ما يشير إلى معانيها العصرية . ولـكنا نحن وضعناها او الصقنا معنى جديداً بكلمة قديمة . كما فعلنا

فى « ثورة » فان الكلمة المألوفة فى كتب العرب هى « فتنة » وهى كلمة كريهة تدل على شعور السادة الغاصبين ولا تدل على شعور الشعب الناهض . فالمؤرخ الذي يكتب عن الثورة الفرنسية ، إذا كان ملوكيًا فانه يصفها بأنها « فتنة باغيـة » على العرش والنبلاء . وإذا كان ديمقراطيًا فانه يصفها بأنها « ثورة عادلة » قام بها الشعب الفرنسي في انتقال اجتماعى خطير . واستعمالنا « ثورة » بدلاً من « فتنة » يحمل معنى اجتماعيًا ساميًا .

وقد وضعنا نحن « وطنية » لكى نقرر بها إحساسًا جغرافيًا جـديداً يناقض الاحساس الثيوقراطى القديم الذي كان يعم العالم العربي — بل وأوربا في العصور الوسطى .

وكذلك وضعنا « عائلة » لكى ننقل بهـا نظامًا اوربيًا لم يكن موجودًا فى بلادنا . ولما ننجح . ولكن في هـذه الكلمة من القوة السيكلوجيةما يسير بهذا النظام رويداً نحو النجاح .

وانظر إلى كلمة « شخصية » . فقد ألفت انا كتابًا عن هـذه الكلمة . وهى من الكلمات التى تخصب المجتمع وتحفز الفرد إلى الرقى والتطور .

وفي كلمة « مجتمع » معنى عصري لم يكن يستطيع الحاكمون في مصر ان يفهموه ايام محمد على او المماليك حين كانت ميزات الثروة والحكم والقوة في ايدي الأتراك والأرنئوط دون المصريين . ولى انا كتاب عن كلمة « تطور » .

اما كلمة « ثقافة » فاني لم انجح في كلمة اخري نجاحى في تعميمها . وكلتاهما ، ثقافة وتطور ، تعين اسلوبًا للحياة عنـد الشاب وتفتح ابواب الرقى والتجديد وتصد الرجعية والجمود .

وهناك عبارات مثل هذه الكلمات لهـا قوة التحريك الاجتماعى . ويجب

ان يكون اهتمام الأديب بالاكثار منها حتى يألفها الجمهور فينصبها اهـــدافاً لـكي يصل إليها او يذكرها ويتحفز بها إلى التجديد والرقي .

اعتبر ما أحاوله انا من تسمية أعضاء التناسل . اعضـاء الخلود البشري . وما يحمله هذا التعبير من المعنى السامي للحب .

أوانظر إلى قولنا « الدولة الايجابية » اي الدولة التي تعمل للرقي والبناء ولا تقتصر على ان تـكون سلبية لـكفالة الأمن العـام فقط كما كان الرأي في القرن التاسع عشر .

او انظر الى قولنا « القحط ثمرة الوفرة » فان في هذه العبارة مفتاح الفهم السديد لنظام الانتاج الحاضر في اوربا وامريكا .

او انظر الى قولنا « الجوع الـكيماوي » حيث يكون الشبع بالـكم يحمل الجوع بالـكيف . كما هي الحال في النقص الفيتاميني ينشأ بين الفقراء بل واحياناً بين الأغنياء . فان في هذه العبارة ما يبعث على الدراسة للقيم الغذائية .

او انظر إلى قولنا : « ادب الـكفاح وادب التفرج » وقيمة هذه العبارة في الأدب وعلاقته بالمجتمع .

او انظر إلى عبارة « البيئة والوراثة في التربية » فان فيها ما يبعث على التفـكير والدراسة سنين عديدة .

وقد كان يقال ان لـكل نبي رسالة وهـــذا كلام حسن . ولـكن لمَ لا يكون لـكل إنسان رسالة في الخير والشرف والمجد ؟

هذه جميعها كلمات بل محركات اجتماعية كل كلمة منها شعار كأنه راية الجهاد للدفاع عن الذكاء والأخلاق وللدعوة إلى الخير والرقي .

# فن البـــلاغة

من أسوأ الانحرافات الذهنيـة فى الانسان أنه يحيل الوسائل الى غايات . فان الناس يجمعون المال وسـيلة يصلون بها الى غاية السعادة وهذا هو الزعم بل الفهم العـام . ولـكن ماهو أن يشرع احدنا فى جمع المـال حتى ينسى الغاية فيبقى طيلة حياته وهو فى هذا الاسر أي يجمع المـال وغايته المال لا أكثر . فان الحياة قد أصبحت وسيلة للمال وليس المال وسيلة للحياة .

وهذا الانحراف كثيراً ما نجده فى شئون أخرى . حين يقال أن الأدب غاية الحياة . أو الثقافة أو الفن . بل هناك مذاهب تقول أن الدولة غاية . وقبل نحو خمسين سنة شاع مذهب يقول « الفن للفن » كأن الفن غاية .

والواقع أنه ليس للحياة غاية سوى الحيـاة . وكل ماعدا الحيـاة انما هو وسائل للحياة . فاللغة والأدب والفن والبلاغة انما هي جميعهـا فى خدمة الحياة التى لهـا الاحترام الأول والمكانة المفضلة . فنحن نتعلم الفنون ونمارس البلاغة ونعنى بالثقافة كى نصل فى النهاية الى مستوى عال من الحياة . ولذلك لا نحتاج الى أن نشرح للقارئ أن بلاغة الحياة أهم وأخطر من بلاغة اللغة ، وأن اسلوب الحياة أجدر بالأولية والتفضيل فى التعليم من اسلوب الـكتابة ، وان فن الحياة هو أشرف وأجدى الفنون على هذا الـكوكب .

واذا جعلنا الحيـاة الشريفة السعيـدة هدفاً ، نوجه اليه فنوننـا وعلومنا وعقائدنا ، فاننا نستطيع أن ننزع عن هذه جميعها تلك القذاسـة التى تحول بيننا وبين تنقيحها أو تغييرها . ويعود عندئذ « فن البلاغة » فناً تجريبياً مثل جميع

الفنون . ويتغير كما تغيرت . فليس شك فى أن التغير او التنقيح قد عم فنونا كثيرة فى عصرنا مثل الرسم أو النحت أو البناء . ولكن فن البلاغة فى اللغة العربية لم يتغير .

فحياتنا العصرية تختلف من الحياة العربية قبل ألف سنة . فاذا كنا نسلم بأن فن البلاغة يجب أن يكون فى خدمة هذه الحياة العصرية فانه يجب أن يتغير كي يخدمها . فلم يعد مجتمعنا فى حاجة إلى البهارج والزخارف البديعية نحطم رءوس أبنائنا بتعلمها وممارستها . ولكننا فى حاجة الى أن نجعل البلاغة فنًا للتفكير الحسن السديد . وللأمة المصرية حق تطوري فى هذا التغيير .

ويجب أن نشرح غايتنا من البلاغة الجديدة :

١ ـ فهي قبل كل شيء التفكير المنطقي السديد الذي يؤمن فيه الخطأ .

٢ ـ تحريك الذكاء وتدريبه بالكلمات .

٣ ـ أن نعرف كيف نستعمل الكلمات للتفكير التوجيهي .

٤ ـ أن نعرف كيف نستعمل الكلمات للتحريك الاجتماعي .

فاما القاعدة الأولى وهي أن التفكير يجب أن يكون منطقيًا فتقضي بدراسة كتاب موجز فى المنطق . واذا كان اللورد هوردر الطبيب الانجليزي ينصح لكليات الطب فى بريطانيا بتدريس كتاب جيفونز فى المنطق فى السنة الأولى من الدراسة الطبية ، فاننا أحوج الى مثل هذه النصيحة فى دراسة اللغة العربية فى كلية الآداب أو فى دار العلوم .

ويجب أن تكون الكلمات موضوعًا لتدريب الذكاء اللغوي فى التلميذ والطالب . ولن يستطيع مدرس اللغة أن يصل الى ذلك الا إذا كان موسوعي المعارف قد درس احدى اللغات الأوربية وأتقن علمًا عصريًا .

وإلى هنا الفائدة سلبية وهي أننا لا نقع فى الخطأ والالتباس . ولكن يجب أن نتعلم اللغة للفائدة الايجابية وهي الانتفاع بها فى ايجاد الكلمات الموطرية التى

تحرك الفرد والمجتمع . أي نعرف القيم السيكلوجيـة للكلمات وما فيهـا من شحنات عاطفية أو تنبيهات ذهنية .

فاللغة علم وفن . هي علم من حيث أننا يجب ان نعرف كيف ننتقد المعاني وكيف نسبر المعانى فى الكلمـة . وهي فن من حيث قدرتنـا على استعمال الكلمات كي تبعث التحريك الاجتماعي أو التنبيه الذهني أو العاطفي فى الفرد أو الجماعة . أي اننا نستطيع ان نعبئ الكلمات للاصلاح .

فى ١٩٠٤ كنا قد وصلنـا الى أعمـق هوة من الضعف الوطني وكان يقال لنا ان بلادنا زراعيـة وأنها يجب الا تتجه وجهة صناعية . وصدر فى تلك السنة قانون يصف المصـانع بأنها « محلات مضرة بالصحـة او مقلقة للراحة أو خطرة » .

والى الآن لا يزال هذا القانون قائمًا . والى الآن لا يزال هذا هو وصف المصانع . بل ان كلمة « مصنع » لا ذكر لها فى قوانيننا . فاذا كنت مصريًا ناهضًا قد تأملت الدنيـا وعرفت أن الرقى إنما هو صفة الامم الصناعيـة وحملتك وطنيتـك على ان تنشئ مصنعًا في مصر كي تربح منـه وتوفر للشبان عملاً وللجمهور بضائع رخيصة ، فاعلم أنك انما تؤسس « محلا مضراً بالصحة أو مقلقاً للراحة او خطراً» . وبعد أن تؤسس هذا المصنع سيأتيك موظفون من وزارتي الداخليـة والصحة وكل منهم مزود بعاطفة قد احدثتها في نفسـه هذه الكلمات « مضر بالصحة . مقلق للراحـة . خطر » فهو ينظر الى مصنعك واليـك بهذه العاطفـة . ويجب ألا تنسى انه لا يزورك مع ذلك موظف من وزارة التجارة والصناعة .

تأمل ايها القارئ ماذا كان يكون احساسنـا وإية عاطفة كانت تثـار فى نفوسنـا لو اننا اسمينـا المستشفى « محل يقتل فيه الناس أو تقطع أعضاؤهم او يجرحون » ؟

فهنا مثال للفائدة التى نجنيها من الاستعمال الايجابي للغة . فاذا شئنا ان نحب الانكليس فيجب الا نسميه ثعبانا . واذا شئنا ان نحب المصنع ونحض الناس على اتخاذ الصناعة فيجب أن نختار له اسماً ايحائياً مغرياً كأن نقول بدلاً من العبارات السابقة : «كل من اسس محلا مفيداً للأمة يزيد ثروتها ويوفر العمل لأبنائها ويرخص البضائع النافعة الخ» ألا ترى القوة الموطرية فى هذه الكلمات؟ ألا ترى ان هذه الكلمات كانت أليق واشكل بوصف المصنع فى عصرنا الجديد؟ ألا ترى اننا هنا نجد الخدمة الاجتماعية العظمى من البلاغة الجديدة؟

أجل : ان المصانع فى مصر يجب ان تعد مقاس الأمة كالمعابد سواء إذ هي التى سوف تنقلنا من الركود الريفي الى التحرك المدني .

فيجب ان تجد فى قوانيننا ولغتنا الوصف الاطرائي المغري بتأسيسها .

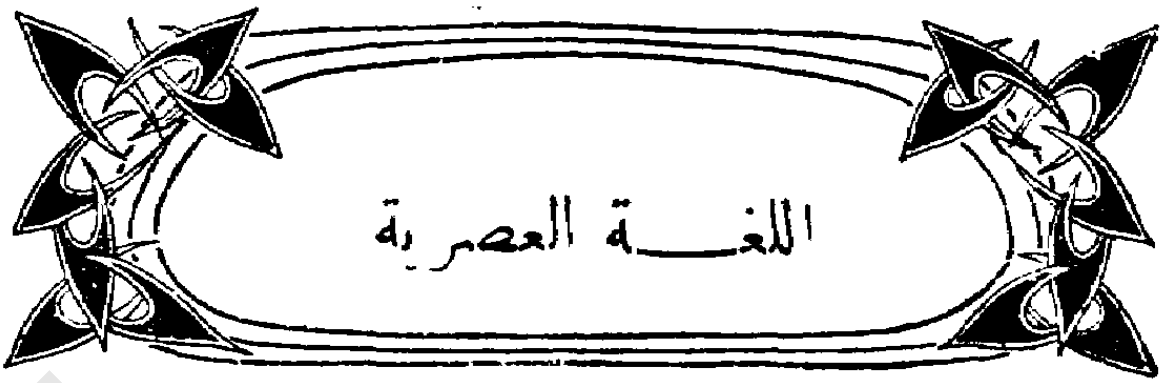

# اللغـــة العصرية

عرف القارئ من مقال الأستاذ احمـــد أمين ان معظم الاضطراب فى المعاني يرجع الى اننا احياناً نستعمل كلمات وعبارات نشأت فى بيئة اجتماعية غير بيئتنا . وهي كلمات او مجازات او استعارات اشتقت من أساليب التفكير الذي كان متبعاً قبـل نحو ألف سنة فى بغداد مثلا أو لا يزال يتبـع فى اقليم عربي آخر له أسلوب تفكيرى يخالف اسـلوبنا . ولو انه يعيش في عصرنا . وهذا الاسلوب قد حمل السكان هناك على سلوك لغوي يخالف سلوكنا .

وثم قاعدة تاريخية سـديدة يجب ان نذكرها على الدوام هي ان طراز الثقافة يصاغ وفق الوسائل التى تستخدم في تحصيـل العيش . فوسائل العيش في القاهرة تختلف ممـا كانت في بغداد قبل ألف سنة وتختلف مما هي في مراكش أو صنعاء الآن . ولذلك تختلف ايضـاً ثقافتنا . واللغة تسير وراء الثقافة وكلماتها تحمل المعاني التى تتطلبها هذه الثقافة او هي تعجز عن حمل هذه المعاني فيحتاج المجتمع الى غيرها . اذ لا مفر من ان نربط اللغة بالمجتمع .

ونحن نحاول ان نرقى بأمتنا . ولـكن ما معنى هذا الرقي ؟

هذا الرقى يعنى اننا نعيش المعيشة العلمية حيث تستند الحقائق الى البينـات لا الى العقائد . ولن نستطيـع ان نتجاهل الوثبـة الجديدة في هذه الدنيا وهى انهـا قد تقلصت فيها المسافات حتى يمـكن ان يقال انها صغرت فصارت قرية واحدة . فيجب لهذا السبب :

١ — أن نجعل ثقافتنا علمية وأن نجعل لغتنا علمية . ويجب أن نستعمل كلمات العلوم في تعبيرنا في الصحف والكتب والحديث

٢ — وأن نجعل ثقافتنا كوكبية حتى تتسع افاقنا الذهنية والنفسية ونمارس بذلك حقنا البشرى الاول وهو ان هذا الكوكب ملكنا ولنا الحق في معالجة شئونه بكلمات كوكبية .

وفي الفصل التالى سنعرف ما هي هذه الكلمات الكوكبية . اما هنا فنقتصر على التعبير العلمي اي استخدام كلمات العلوم في بيئتنا الاجتماعية باعتبارها الكلمات المجازية التى تتفق والمجتمع العلمي الذي ننشد

وفيما يلي بعض التعابير التى اشتققتها انا من اللغة العلمية على سبيل المثال :

التفاعل بين اللغة والمجتمع — كيمياء

الاستقلال هو بؤرة الاشتعال الوطنى في مصر — طبيعيات

نعيش في عصر متوتر بالمصاعب والمشكلات — سيكلوجية

اللغة هي الجهاز العصبي للمجتمع — طب

الحياة تفقد ايقاعها في المرض — موسيقا

اول ما تجرثمت الفكرة عندى — سيكلوجية

يجب ان ننظر الى المستقبل ببصيرة تلسكوبية — فلكيات

كان عندما يدخل البيت يرصد جوه هل هو ينذر بالعاصفة — فلكيات

كان مذهب التطور من أعظم الخمائر الاجتماعية في القرن الماضى — كيمياء

رجل يمتاز بالبصيرة السيكلوجية — سيكلوجية

يعاني تخمة ذهنية — طب

الايحاء افعل من الاغراء — سيكلوجية

التحرش بالغريزة الجنسية في القصص — سيكلوجية

خوف الغارات قد نفذ الى جميع مسام المجتمع — طب

يمشي في تثاقل روماتزمي — طب
من الحركات المغنطيسية التي تجذب الشبان — طبيعيات
الطاقة الموطرية في الكلمات — طبيعيات
يخشى الدنيا ويرى المصباح الاحمر أينما سار — ميكانيات
الحرب هي قاطرة التاريخ لانها تعجل التطور — ميكانيات
الوقف يقف كالخثرة في الدورة الاقتصادية المصرية — طب

* * *

نحن الآن نستعمل القطار والراديوفون والعدسة ونعرف الجراثيم في الأمراض . وليس في المدينة شيء نألفه مثل الموطر . وللمصباح الاحمر في حياتنا المدنية قيمة الحياة والموت . فيجب أن نستعمل هذه الكلمات في مجتمعنا كما استعمل العرب الكلمات التي تتصل بحياة الجمل ونبات الصحراء وأعلام الطرق والجبل والسهل والقتال الخ .

# كلمات كوكبية

في هذا العصر الذي نعيش فيه تجري انقلابات من أخطر ما جرى على هذا الكوكب في تاريخه . واذا لم نكن نحن على وجدان بهذين الانقلابين فان تطورنا يتأخر ، وتتخلف عن قافلة الحضارة .

الانقلاب الاول ان العقل البشري في أعلى مستواه قد انتقل الى التفكير العلمي . فصار الانسان يعالج مشكلاته في السياسة والصحة والاجتماع والاقتصاد بالعلم ، أو هو يحاول ذلك . والامة التي تمارس العلم ترتقي وتتفوق بل هي تستطيع أن تستخدم الامة التي لا تمارس العلم كما نستخدم نحن الجاموس او البقر ، ويتضح هذا بنظرة عاجلة للأمم المختلفة على هذا الكوكب .

والانقلاب الثاني ان هذا الكوكب يصير رويداً نحو التوحيد . وليس هذا ثمرة الارادة البشرية ولكنه ثمرة العلم الذي محا المسافات حتى صار الانتقال من القاهرة الى القطب الشمالي فى ١٩٤٤ يحتاج بالطائرة الى وقت أقل مما كان يحتاج اليه الانتقال من القاهرة الى طنطا قبل مئة سنة بوسائل النقل القديمة . ومحو المسافات هذا قد عمل على التقريب الجغرافي والتقريب النفسي معاً . ولذلك أراني اهتم في الصباح بقراءة الاخبار عن التطورات السياسية أو الاجتماعية في روسيا او الولايات المتحدة الامريكية او المانيا كما صرت ألوك أسماء سمطس وتشرشل وروزيفيلت وستالين وشيانج كاي شيك كما الوك أسماء الساسة في مصر .

التفكير العلمي من ناحية ، والعقلية الكوكبية من ناحية اخرى . كلاهما يؤثر في تطورنا السياسي والاقتصادي ويجب لذلك ان يؤثر في تطورنا اللغوي.

فالعلم تفكير جديد يحتاج الى لغة جديدة . وهذا هو ما حدث في اوربا . فان الاوربيين حين شرعوا يفكرون تفكير المنطق والتجربة ، تفكير الذهن واليد ، اي التفكير العلمي ، وجدوا ان دقة التعبير تحتاج الى كلمات جديدة ليست لها اية ملابسات قديمة فاخترعوا هذه الكلمات ، ليس من لغاتهم، بل من لغات قديمة لا يعرفها الجمهور . وبذلك أصبح لكل علم لغته الخاصة التي لا يمكن ان يقال انها انجليزية أو فرنسية أو روسية . بل هي لغة العلم . فكلمة « بيولوجية » لا يعرفها رجل الشارع في لندن أو باريس او نيويورك . لأنها كلمة مشتقة من اللاتينية كي تعبر عن معنى لم يكن الجمهور في حاجة اليه قبل مئتي سنة مثلاً . وقس على هذا كلمات كثيرة مثل : المندليه في الوراثة ، اليوجنيه فى إصلاح النسل . السيمائية فى المنطق اللغوى . الاسبكترسكوب . التلكسوب . الميكرسكوب . السيئزموجراف . الكارديوجراف . الراديوفون . التليفون . التلغراف . الهورمونات من الغدد. الفيتامينات الخ .

فجميع هذه الكلمات — وآلاف غيرها — يعرفها الياباني والانجليزي والهندوكي والارجنتيني . ولا يحاول واحد منهم أن يترجمها إلى لغته . أولاً : لأنه يحس أنه اذا اختار كلمة من لغته فانها تحمل معها ملابسات لا يعرف كيف يتخلص منها . وثانياً : لأنه عندئذ ينعزل بكلمة خاصة ليست فى لغة هذا العلم التى يعرفها العلميون فى الاقطار الاخرى .

فلكل علم لغته التى يجب أن تستعمل فى أى مكان على هذا الكوكب ، ولا يصح أن تترجم ، بل هي لا يمكن أن تترجم ، الا مع الضرر بالتفكير العلمى . والعلم شيء جديد فى عصرنا فيجب أن نقبل اسلوبه الجديد فى التعبير .

وليس شك فى أن المصرى الذى تجابهه كلمة سئموجراف أو اسبكترسكوب يضرس كما لو كان يمضغ حامضاً لأنه يحس صدمة لغوية تخالف مألوفه . ولكن سرعان ما يزول هذا الضرس بالألفة .

وكلمات العلم أجنبية فى جميع اللغات وليس علينا حرج أن تكون كذلك أجنبية فى لغتنا . بل ان رجال العلم الاوربيين يأخذون كلمات المتوحشين حين تكون لها دلالة فى الاثنولوجية مثلاً كما نرى فى كلمتى طبو وطوطم .

والمصرى الذى يتخصص فى علم ما ، يحتاج إلى متابعة الدراسة مدى حياته لهذا العلم . ولا غنى له عن كلمات هذا العلم التى يستعملها جميع المتخصصين فيه فى القارات الخمس . وهو يفكر بهذه الكلمات . ومن التكليف المرهق أن نطالبه بترجمة هذه الكلمات إلى لغتنا . لأن كل ما تحتاج إليه أن نعرب هذه الكلمات ونصوغها فى صيغة عربية ، إذا كنا سنؤلف بها فى لغتنا الدارجة ، أو لا نصوغها ، إذا كانت ستبقى مقصورة على المتخصصين .

هذا من حيث كلمات العلوم . ولكن نقلص المسافات قد أحال هذا الكوكب إلى قطر واحد تسكنه أمة واحده . وهذا يحملنا على أن تتخذ العقلية الكوكبية . ولذلك جرت صحفنا على أن تستعمل هذه الكلمات والعبارات الكوكبية :

بروتوكول . مناقشات بيزنطية . حب افلاطوني . حكومة بيروقراطية . ديمقراطية . النظام السوفيتى . التلغراف . التليفون . الراديوفون . السينماتوغراف . الخ

ونحن والفرنسيون والالمان والصينيون والامريكيون سواء فى استعمال هذه الكلمات . وسوف تزداد هذه الكلمات فى المستقبل بالعشرات بل بالمئات . وهذا تطور حسن . لأن هذا الاتجاه ، مع كلمات العلوم ، يحدث القرابة الذهنية

التي ستؤدى يومًا ما إلى قرابة نفسيـــة . فلا يكون الشعور بالبعـــد والفرقة والانفصال ثم الانعزال فالعداء بين الشعوب .

وكل مصرى بارّ بوطنه وبهذا الـكوكب يجب ألا يعارض هذا الاتجاه ، لأن المعارضة فى حقيقتها تعنى عقوقًا بحقوق البشر وعرقلة لاتحاد أبناء هـــذا الـكوكب ورقيهم . وباتخاذ هذه الكلمات نقترب من العقليـة الـكوكبية ، والثقافة الـكوكبية ، وربما اللغة الـكوكبية .

وعندى ان بعض الميزات لما يقترحه عبد العزيز فهمى ( باشا ) من اتخـاذ بعض الحروف اللاتينية فى كتابتنا يعود إلى ان هذه الحروف تضمنا إلى مجموعة الأمم المتمدنة . وتـكسبنا عقلية المتمدنين وتنزع منا تلك الخصومة التى تبعثها كلمتا شرق وغرب . وتجعلنا أقرب إلى العقلية الـكوكبية واللغـة الـكوكبية . ولـكنى مع ذلك لا أتنقص الفائدة من الخط اللاتينى فى التعبيرعن كلمات العلوم. فإن هذه الـكلمات تبدو نابية فى الخط العربى ، كما تغيب اصولها التى اشتقت منها فلا نفهمها عند رؤيتها . وربما كان هذا من أكبر الأسباب للنفور منها ثم لتخلفنا فى العلوم .

وواضح من تاريخ العرب انهم عربوا في كثير من الاحوال بدلاً من أن يترجموا . كما نرى في هذه الـكلمات : استاذ . ادب . اقليم . فلسفـة . ابريق . قاض . كابوس . قانون . زخرفة . تاريخ . الماس . جغرافية . انبيق . زكاة . بستان . برج . تلميذ . جدول . سجل . ترعة . دستور . قنطار . عقار . فدان. سمسار . صراط . صابون . لغة . قفطان . ناموس . رقص . حب . سيماء . الخ .

فكل هذه الـكلمات ومئات غيرها يرجع إلى اصل اغريق او اصل لاتينى أو غيرهما . ولم يحاول كتاب العرب ترجمتهـا وانما أكسبوها صيغة عربيـة لا أكثر . ولا ينكر انهم عمدوا الى الترجمة أحيانًا كما فعلوا في كلمات المنطق. فانهم ابتدأوا باصطنـاع كلمة السلجسة ( سيلوجسم ) ثم تركوها وقالوا القياس .

وكل منا يأسف الآن على تركهم للسلجسة المعربة واتخاذهم كلمة القياس المترجمة. لأن كلمة القياس تتحمل طائفة من المعاني التي تربكنا في حين نحتاج الى الدقة في قواعد المنطق .

وللتعريب — فضلاً عن قيمته في التقرب من لغة بشرية عامة وفضلاً عن قيمته الدواسية في العلوم — قيمة ثقافية اخرى . لأنه يبصرنا بالتاريخ والتطور الثقافي . فنحن حين نقول « برلمان » نحس من حروف هذه الكلمة تاريخًا عامًا للحكم النيابي في العالم . وليس في مصر وحدها . ونعرف الاصل لهذا الحكم . وكذلك الحال في اتومبيل وتلفون وبسكليت ومنجه وجوافه وككتوس وقيصر وريشتاج وسوفيت وميكادو الخ .

ومن مصلحة الثقافة أن تبقى هذه الكلمات على أصولها كي نزداد معرفة للتاريخ أى فهماً للدنيا .

# القـــدرة

## على اصطناع الـكلمات الاجنبية

قال هـ . ج . ولز فى كتيبه « العلم والعقل العالمى » :

« نستطيع أن نقول إن كفة الرأي ترجح فى ناحية اتخاذ اللغة الانجليزية أساسًا مهمًا للغة عالمية . ولست أقول هنا ان اللغة الانجليزية تصلح لأن تكون أساسًا مهمًا فقط . ذلك ان انتشارها فى أنحاء العـالم فى الوقت الحاضر وخلوها من التغيرات الصرفية، والارتباكات النحوية ، وقدرتها على تمثيل الـكلمات الأجنبية — كل هـذا يحسب من محاسنها . ولـكن هناك ماهو ضد ذلك . وهو هذا الجمود العتيد ، جمود الطبقة العالية التى تهاب ولا تقتحم ، هـذا الجمود الذى يتحيز مكانًا كبيراً فى التقاليد التعليمية البريطانية التى تنزع إلى الـكلاسية أو التليدية العميقة التى تعدّ فى روحها انفصالية ترفّعية . وهـذه النزعة ليست فقط غير مساعدة لانتشار اللغة الانجليزية بل هى تعرقل هـذا الانتشار عرقلة قوية » .

هذه هى كلمة ولز . ومنها نفهم ان اللغة الانجليزية تصح أن تـكون أساسًا للغة عالمية لجملة ميزات هى :

١ — انها انتشرت فى عصرنا انتشاراً عظيماً .

٢ — انها تخلو من القواعد الشاقة فى النحو والصرف .

٣ — انها قادرة على تمثيل الـكلمات الأجنبية .

ولكن ولز يرى ان بين بعض المتعلمين روحاً ينزع إلى التليدية أو الكلاسية فيهابون الكلمة الجديدة ولا يرحبون بالكلمات الأجنبية التى تخصب بها اللغة وتزهر .

ونحن فى مصر حين نقارن بين العربية كما نتعلمها ونكتبها وبين الانجليزية نعرف ان نزوعنا إلى الكلاسية وكراهتنا للكلمات الأجنبية تزيد ، ليس مئة مرة بل ألف مرة ، على ما يشكوه ولز من الكلاسيين الانجليز . وحسبنا من هذا أن نعرف شيئين :

١ — ان فى اللغة الانجليزية نحو الف كلمة عربية وليس فى لغتنا نحو عشرين كلمة انجليزية .

٢ — ان الكلاسية ( التليدية ) الانجليزية لا تبلغ جزءاً من الف من الكلاسية العربية . والبرهان على هذا أن فى شكسبير الذى مات قبل نحو ٣٣٠ سنة تعابير وكلمات لو اجترأ انجليزى على استعمالها لعدّ حماراً سخيفاً مع اننا ننبش عن الكلمات الماتة فى لغتنا ونستعملها لأبناء ١٩٥٣ .

والكلاسية فى مصر كما نراها فى أيامنا ليست لغوية أدبية فقط بل هى اجتماعية مزاجية ذهنية . فدعاتها مثلاً يهتمون كثيراً جداً بالتأليف عن الخوارج فى أيام على بن أبى طالب ويهملون التأليف عن الخوارج على الديمقراطية فى أيامنا . وهم يدرسون رجال الأمس — والأمس هنا قبل سنة ١٠٠٠ ميلادية — ولا يدرسون رجال اليوم . وهم فى أخلاقهم شرقيون وفى اقتصادياتهم زراعيون . وهم ينظرون إلى اللغة والأدب العربيين نظرة الراهب إلى الدين . فكما ان هذا ينزوى فى صومعته ويقرأ كتبه بعيداً عن معمعة الحياة ، كذلك أولئك ينزوون فى مكتباتهم ويدرسون الجاحظ ويحاولون أن يكتبوا مثله أو عنه : يكتبون عن الجاحظ بلغة الجاحظ ويثنون عليه أو ينقدونه بمزاجه وذوقه ومقاييسه .

وهؤلاء الكلاسيون يجهلون أشياء كثيرة عن الدنيا . وانا أؤكد انهم سيضحكون منى حين أقول انهم يجهلون :

١ — ان الدؤدؤ قد انقرض منذ مئة سنة بعبث الصيادين وان انقراضه خسارة فادحة للبشر جميعهم .

٢ — وان الكيمياء الصناعية قد أوشكت أن تقرر إلغاء زراعة القطن من العالم كله . . . ومن مصر .

٣ — وان مشكلة الهند يجب أن تكون مشكلة كل رجل مثقف على هذا الكوكب

٤ — وان التكنولوجية تبشرنا بالوقت الذى يكفينا فيه شهر من العمل لكى نعيش ١١ شهراً فى الراحة أى فى التعلم وزيادة الاختبارات والاستمتاعات

الكلاسيون هم رهبان الأدب العربى . واللهجة اللغوية التى يتخذونها فى الكتابة قد أحدثت لهم لهجة ذهنية فى التفكير . فهم جامدون يخافون الدنيا . وهم أيضاً لهذا السبب نفسه يعرقلون تطورنا الاجتماعى والاقتصادى وتطور اللغة والأدب . يكرهون الكلمة الأجنبية فيقولون سيارة بدلاً من اتومبيل . ثم تنتقل هذه الكراهة إلى العالم الخارجي فلا ينبعثون إلى دراسة الصين أو الهند أو ألمانيا . ثم تنكمش أذهانهم وتعود الدنيا كلها وقد انحصرت فى اهتمامهم بدرس الأدب واللغة العربيين لا أكثر . ثم يزداد الانزواء الرهبانى فيتحدث الأديب التليدى العربى عن العالم العصرى كما يتحدث الراهب عن فجور المدنيين الدنيويين . ثم بعد ذلك المقاطعة بين العقليتين .

ولست أعنى ، مع ذلك ، مقاطعة القديم . لأنى اعرف ان هناك قدماء معاصرين . أى أنهم على الرغم من سبقهم لنا بألف أو الفى سنة كانوا يعالجون شئوناً بشرية ما زلنا نعالجها وكانوا يحاولون رفع الانسان الى الانسانية كما نحاول . وهؤلاء يعاصروننا على الرغم من قدمهم . وهم جديرون بدراستنا واهتمامنا . ولكن دون ان نجعل منهم المحور والهدف لثقافتنا .

# اوجدين والانجليزية الاساسية

تمتاز اللغة الانجليزية بميزات عظيمة جعلت لها السبق فى ميادين التجارة والصناعة والثقافة . ويبلغ الناطقون بها أكثر من مئتى مليون متعلم . ومن أعظم ميزاتها ان نحوها قليل القواعد حتى ليمكن الاستغناء عنه . وقد قال الفيلسوف هوبرت سبنسر انه لم يتعلم النحو قط وانه درس والف في هذه اللغة دون أن يحتاج إلى دراسة النحو . ولا يمكن عربياً أن يقول مثل هذا الكلام عن لغته .

وميزة أخرى فى اللغة الانجليزية انها غير جنسية . فالأشياء محايدة ليست مذكرة أو مؤنثة . أما نحن فنحتاج إلى أن نعرف « جنسية » الحرب والسلم والأرض والجبل والميناء والكبرياء والروح والبيت الخ .

ومع هـــذه السهولة لا يزال المفكرون من الانجليز يدعون إلى الزيادة فى التبسيط . وقد قطعوا بعض المسافة نحو هذا الهدف فأصلحوا الهجاء وألغوا الحروف الصامتة . وهم ، بل وغيرهم من الأمم الأخرى ، يفكرون فى جعل اللغة الانجليزية لغة كوكبية . ولأجل هذه الغاية وضع الأستاذ اوجدن ماسماه « الانجليزية الأساسية » Basic English .

والأستاذ اوجدين من علماء السيكلوجية . ومن أعظم مؤلفاته كتاب «معنى المعنى» وهو فى السيمائية أى علم المنطق اللغوى والايضاح عن المعانى ، وهو علم جديد تجهله اللغة العربية .

ونزعة « اللغة الأساسية » تناقض النزعة العامة فى لغتنا . ومن هنا قيمتها لنا لأنها تنبهنا بهذا التناقض . فان الأستاذ اوجدين يرى ان الكلمات التى

نحتاج اليها محدودة وانه خير لنا أن نعرف نحو الف كلمة واضحة المعنى محبوكة من أن نعرف عشرة أضعاف هذا العدد من الكلمات التى يحتمل فيها الشك والالتباس فتفسد التفكير وتعطل الذكاء .

ثم هو يرى ان اللغة الانجليزيه جديرة بأن تعم العالم . وقد احتال للوصول إلى هذا الهدف باختيار ٩٤٦ كلمة يعتقد انها تكفى للفهم فى اللغة الانجليزية . وهذه الكلمات هى ٦٠٠ اسم و ١٥٠ نعتًا و ١٨ فعلا و ٧٨ ضميراً وظرفًا وحرفًا

والقارئ يلاحظ قلة الأفعال . ولكن اوجدين يستغنى عن الأفعال باستعمال الأسماء الكثيرة مع أفعال قليلة . فبدلاً من أن أقول :

تعالجت من مرضى أقول ، عملت العلاج لمرضى

وقضيت ساعة بالمنزل « كنت ساعة بالمنزل

وسيزورنى اليوم محمد « سيعمل محمد زيارة لى اليوم

ولما بلغت العاشرة من العمر « لما كنت فى العاشرة من العمر

فيرى القارئ هنا اننا استعملنا فعلى كان وعمل بدلاً من أربعة أفعال . ويمكن كذلك أن نستعملهما بدلاً من مئة فعل . لأن الانسان إما كائن وإما عامل . وفى اللغة الانجليزية نحو أربعة آلاف فعل ولكن اوجدين استغنى عنها كلها بهذه الأفعال التالية :

جاء . حصل . اعطى . ذهب . حفظ . ترك . صنع . وضع . بدأ . أخذ . كان . عمل . ملك . قال . رأى . أرسل . أراد . ربما ( وهى فعل فى الانجليزية ) .

وعلى هذا يمكن أن نجعل فعل « ذهب » يؤدى معانى ثلاثين فعلاً . فنقول : ذهب فى ( دخل ) وذهب قبلا ( سبق ) وذهب من مكان إلى مكان ( جوّل ) وذهب إلى الجانب الآخر ( عبر ) : وذهب إلى ( زار ) الخ . ثم هو ، أى اوجدين ، يستغنى عن المترادفات أو ما يقاربها . فنحن نقول جلد

الحيوان . وفرو الثعلب . ولحاء الشجرة . وغلاف الزهرة . وقشرة الثمرة . ولكنه هو يقنع بكلمة جلد للجميع . فيحقق الاقتصاد اللغوى وهو بعض أهدافه . وهذه الكلمات تحفظ فى بضعة أسابيع أو أشهر . وليست هذه الكلمات بالطبع هى كل اللغة الانجليزية . ولكن الأجنبى الذى يعرفها يستطيع التفاهم بها ويستطيع أن يقرأ بعض الكتب التى ألفت بها ثم يرتقي الى معرفة اللغة الانجليزية فى توسع .

وأمامى وأنا أكتب هذه الكلمات كتاب ألف على مبادئ « اللغة الأساسية » يدعى « نمو العلم » تبلغ صفحاته ٣٧٢ صفحة متوسطة . ومن فصوله : مقاييس القوة . الضوء الكهربائى . داروين وما بعده . المادة . العلاقات .

وبعض هذه الفصول يتعمق الفلسفة ولكنه كتب بالانجليزية الأساسية . والقاعدة التى اتبعها اوجدين فى اختيار هذه الأصول دون غيرها هى انه وجد انها أكثر استعمالاً من غيرها فى اللغة الانجليزية . وهو بالطبع لا يقول بالاكتفاء بهذه الكلمات ولكنه يقول بفائدتها للأجنبى الذى يجد اللغة ميسرة له لا يستغلق عليه فهم كلماتها . فهو يتحدث ويكتب ويقرأ بها . ويستطيع بعد ذلك أن يتوسع . ويقول أيضًا بفائدتها للأطفال الانجليز المبتدئين لأنهم يستطيعون أن يقرأوا فى موضوعات مختلفة دون أن تقف اللغة عائقًا فى سبيل ثقافتهم تصدهم لأول اختبارهم لها .

وهنا التناقض بين النزعتين : نزعة اوجدين فى تعميم السهولة مع توخى الدقة فى اللغة ، ونزعتنا نحن فى الاكثار من المترادفات واستعمال الكلمات القديمة النادرة حتى اننا نحتاج — في كتب الأطفال — إلى أن نفسر لهم في الهامش بعض الكلمات . وكأننا بهذا العمل نحاول صدهم عن القراءة .

وقد أشرت إلى هذه اللغة الأساسية لأنى أرجو أن أرى قيمة هذا المجهود تناقش في لغتنا . ويجب أن أعترف أنه على الرغم من جميع الصعوبات

التى تعترض التعبير الاقتصادى الصحيح في اللغة العربية ، قد استطعنا أن نقطع مسافة غير قصيرة نحو هذا الهدف . والفضل الأول في هذا الميدان يعود إلى الجريدة اليومية التى يضطر كاتبوها إلى الاقتصاد في الكلمات . وأحياناً يترجمون التلغراف وهى بطبيعة الأجور العالية لكلماتها مقتصدة موجزة لا تتحمل المترادفات أو البهارج . وفضل آخر في هذا الميدان أيضاً يعود إلى المحاكم التى أجبرت القضاة والمحامين ورجال النيابة على استعمال لغة محبوكة المعاني بعيدة عن الشبهات والشكوك . وفضل ثالث يعود إلى نشر القليل من كتب العلوم المادية التى تطالب المؤلف باستعمال كلمات قليلة تمتاز بدقة المعنى .

ولكننا مازلنا في بداية الطريق . فان اقتراح قاسم أمين بالغاء الاعراب واسكان أواخر الكلمات لم يلق أية عناية . وكذلك استعمال الأرقام الأوربية كما يفعل اخواننا المغاربة ( فى مراكش ) بدلاً من الأرقام العربية لا يجد القبول الحسن . مع ان الأرقام الأوربية أكثر اصالة في العربية من أرقامنا الحاضرة وهى تمتاز بوضوح الصفر كما تميز تمييزاً نيّراً بين رقمى ٢ و ٣ اللذين يشتبهان عند ما يطبعان بالبنط الصغير .

والآن يجدر بنا أن نتساءل : ما الذى حمل اوجدين على التفكير في تأليف كتابه « معنى المعنى » وأيضاً على تيسير اللغة الانجليزية للأجانب وللمبتدئين بالاقتصار على ٩٤٦ كلمة ؟

الذى حمله على ذلك انه درس السيكلوجية وعرف منها القيمة الاجتماعية والثقافية للغة الانجليزية . وجدير بنا أن ندرس لغتنا في ضوء السيكلوجية حتى نجعل التعبير العربي أيضاً — كلمة وجملة — وسيلة للخدمة الاجتماعية والثقافية . وربما يكون اوجدين قد بالغ في الاقتصار على ٩٤٦ كلمة . ولكن موضوع اهتمامنا هو هذه النزعة التى حملته على اختيار هذه الكلمات التى آثرها على غيرها لتيسير التعليم للغة الانجليزية في حين نعمل نحن للتعسير .

أليس من المستطاع أن نختار نحو ألف كلمة من اللغة العربية تمتاز بالوضوح والدقة والألفة فنؤلف بها كتبًا للصبيان في المدارس الالزامية والابتدائية في الجغرافية والتاريخ والحيوان والنبات ومبادئ العلوم بحيث يدخل الصبي في هذه الميادين فيمرح فيها ويطلب المزيد ، وبذلك نبعث فيه الاستطلاع والتشوف ونغنيه عن الدمع الغزير والعرق الوفير ؟ بل أليس من المستطاع أن نكتب بعض المجلات والجرائد بما نسميه « العربية الأساسية » لأفراد الشعب الذين لا يعرفون من لغتنا غير ألف أو ألفي كلمة ؟

# التفسير الاقتصادى
## للغة والأدب العربيين

كثير مما سنقول فى هذا الفصل قد مرّ بالقارئ متفرقًا ولكنا سنجمعه هنا لابراز المعانى فى ترسيم هذا الكتاب وايضاح غايته .

والتفسير الاقتصادى هو الذى يعلل جميع الظواهر الاجتماعية فى الأمة بالنظام الاقتصادى الذى يعيش أفرادها وفق مبادئه ، واجتماعهم يتغير بتغيره أو يركد بركوده . واللغة والأدب كلاهما ظاهرة اجتماعية لا تختلف عن الاخلاق والعقائد .

فنى أمة صناعية مثل بريطانيا أو الولايات المتحدة نجد اللغة عصرية والادب مستقبليًا والتفكير علميًا . وفى أمة زراعية مثل مصر نجد اللغة والادب تليديين والتفكير عقيديًا أو سنيًا . ولننظر النظرة التحليلية فى ضوء « التفسير الاقتصادى للتاريخ » للغة والادب العربيين .

١ — فالمجتمع العربى الذى ورثنا منه أدبنا ، ولغتنا الكتابية ، كان مجتمعًا اقطاعيًا زراعيًا أى كان يعيش أفراده بامتلاك الارض . وكان فى أقله الذى لا يؤبه به تجاريًا صناعيًا . أى ان ٩٠ فى المئة من العرب فى مصر والعراق وسوريا واقطار افريقيا الشمالية كانوا يعيشون بالزراعة . ومن شأن الزراعة الجمود . فنحن نزرع القمح الآن كما كان يزرع قبل الف أو الفى سنة . فلم يكن هناك ما يدعو الى تغيير العقائد أو الاخلاق أو الكلمات الزراعية . ومن ثم لم يكن هناك ما يدعو الى تغيير الادب فى مثل هذا الوسط . بل ان كل محاولة

للتغيير كانت تجحد لأنها كانت تناقض الاستقرار الزراعى أى تناقض العيش .

استقرار فى النظام الاقتصادى أدى الى استقرار ( جمـــود ) فى النظام اللغوى والادبى . فقواعد الزراعة التى جرى عليها المجتمع منذ الف سنة يقابلها قواعد اللغة واسلوب الادب منذ الف سنة . والكلاسية أى التليدية التى نعانيها فى مصر الآن ليست لهذا السبب مفتعلة بل هى طبيعيـة لأننا ما زلنا نعيش فى الوسط الزراعى الى حد كبير .

٢ — هذا المجتمع العربى أيضًا كان مجتمعًا دينيًا فكان الخليفـة فى بغداد بمثابة البابا فى رومة . ومن غير المعقول أن نطالب أى دين إلهى فى العالم بالتغير. فاستقرار الدين أدى الى استقرار اللغة أى جمودها . وأصبح رئيس الدولة أى الخليفة يحمى الدين : ويحمى الكلاسيكية أى التليدية فى اللغـة . والعرش ينزع الى الماضى لأن حقوقه تعود اليه . فهو محافظ وأحيانًا جامد أى ان للعرش أصولاً اقتصادية سلفية تؤدى الى مبادئ لغوية وأدبية كلاسية تليدية .

واذكر هنا فولتير يشمئز من ذكر الفأر على المسرح لأنه كان يعيش فى ظل العرش الفرنسى بلا دستور وبلا ديموقراطية . وأذكر هنا أيضًا لغة الكهنة فى المعابد . فان تغيير الكلمة هنا يعادل الكفر .

والآن لماذا لا نرضى بلغتنا العربية ، ولماذا يدعو قاسم أمين ، وعبد العزيز فهمى : واحمد امين ، ولطفي السيد ، وبهى الدين بركات ، الى اجراء تغييرات كثيرة أو قليلة فى اللغة العربية ؟

السبب أن هؤلاء الرجال على وجدان بعصرهم أى بهذا الوسط الصنـاعى العـالمى الذى يغمر الوسط الزراعى ويتسلط عليه كما تتسلط بريطانيـا الصناعية وعددها أقل من ٥٠ مليونًا على الهند الزراعية وعددها نحو ٤٠٠ مليون (سنة ١٩٤٥) . وهم على وجدان بالنتائج الاجتماعية لهذا الوسط الصناعى وهى الديمقراطية والحرية والاعتماد على المعرفة دون العقيدة والتوسل بالعلوم الى الرقى الاقتصادى

والاخلاق والثقافى . وليس من الضرورى أن يكون هذا الوسط الصناعى سائداً فى مصر لأن هؤلاء المجددين الذين ذكرنا متمدنون ووسطهم الحقيق هو هذا العالم كله . فهم يحسون تياراته وينفعلون بنزعاته . وأستطيع أن أقول أنا أن نزعتى الى الحضارة الصناعية مع ما يجب أن يرافقها من ثقافة علمية هي التى تدفعنى الى الرغبة فى التغيير حتى تلائم اللغة ما أنشد من ثقافة علمية . واستطيع أن أقول ان عرقلة الصناعة المصرية منذ ١٩٠٤ حين وصف القانون المصنع بأنه « محل مقلق بالراحة الخ » قد عرقلت اللغة فى تطورها وحالت دون التفكير العلمى واستبقت الكلاسية أي التليدية فى الأدب واللغة . وذلك لأن هذا القانون قد استبقى الزراعة أسلوباً للعيش لأكثرية الأمة فأدى استقرار العيش الى استقرار الفقر ثم الى جمود اللغة والأدب . ولولا هذا القانون لتفشت الصناعة واستتبع تفشيها ثقافة علمية تطعّم لغتنا بألوف الكلمات الجديدة.

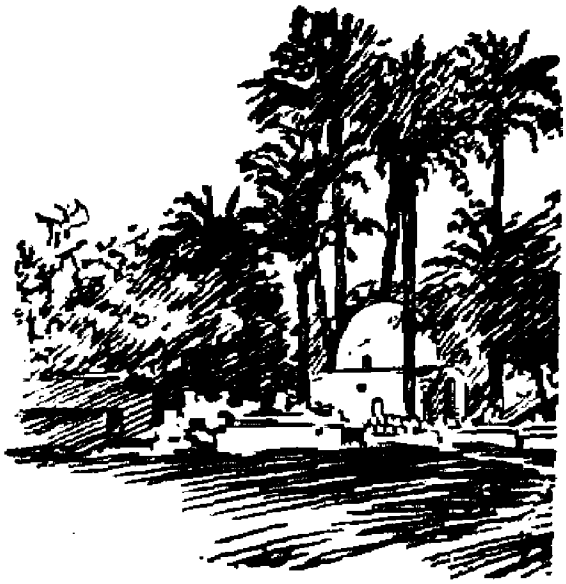

# اللغة العربية فى مدارسنا

القراءة أسهل بكثير من الكتابة الانشائية كما يتضح هذا عند ما نحاول أن نكتب احدى اللغات الاجنبية التى تعلمناها . فانه يسهل علينا كثيراً أن نقرأ مؤلفاتها ولكننا حين نكتبها نجد الصعوبات الشاقة فى تأليف عباراتها .

ولهذا السبب يجب أن تكون الغاية الأولى من تعليم اللغة العربية فى مدارسنا الابتدائية الشعبية ( أى المدارس التى يجب أن تتناول مئة فى المئة من السكان ) هي القراءة دون الكتابة التى قد يختص بها ٥٠ فى المئة من السكان أو أقل . فان العامل فى المصنع أو المزرعة أو الخادم فى المنزل أو مثل هؤلاء لا يحتاجون الى الكتابة إلا قليلاً جداً . ولكنهم — كي يكونوا متمدنين — يحتاجون الى القراءة كل يوم . وحتى عندما يحتاجون الى الكتابة نرضى لهم ونقنع منهم بما يعبر التعبير الساذج عن أفكارهم .

ولسنا نعنى ان هذه الحال سوف تكون دائمة . ولكننا نجد اننا فى الوقت الحاضر فى فاقة مادية وثقافية تحملنا على القنوع بتعليم القراءة للكافة من السكان ثم الارتقاء منها الى تعليم الكتابة الانشائية للأقلية التى نحتاج اليها فى المدارس الثانوية والجامعة .

ولهذا السبب يجب ان نقتصر من تعليم اللغة العربية في مدارسنا الابتدائية على تمكين التلميذ من المطالعة والفهم بلا حاجة الى اية قواعد خاصة بالنحو . وليس عليه من حرج ان يقرأ فيرفع المفعول وينصب الفاعل ما دام يفهم ما يقرأ . حسبه أن يسكن آخر الكلمات كما نفعل نحن حين نقرأ . وبدلاً من هذه القواعد النحوية يجب أن يتعلم الصبي أكبر مقدار مستطاع من

الكلمات التى ترد فى الجريدة والمجلة والمتجر والمصنع والدكان والمنزل . ولهذا السبب يجب أن تتوافر لديه كتب المطالعة السهلة التى تغذو ذهنه بالمعارف الطلية عن حياته الاجتماعية والسياسية وعن العلوم والفنون .

أما فى المدارس الثانوية فنشرع فى تعليم أقل ما يستطاع من قواعد النحو ولا نبالى الاعراب الذى أثبت الاختبار أنه لا فائدة منه بتاتاً . لأننا كلنا ، كما قلنا، نقرأ ونكتب دون أن نحتاج اليه . والوقف فى أواخر الكلمات أى إسكانها هو الخطة السديدة التى يجب أن تتبع . وعندئذ يتوافر للتلاميذ الوقت لزيادة ما يدخرون من الكلمات . وهنا تدخل البلاغة ؛ ونعنى بلاغة المنطق اللغوى للتمييز بين الكلمات من حيث الدقة والاقتصاد فى التعبير ، وليس من حيث ألاعيب الصعار عن الاستعارات والمجازات كوجه القمر ، وانت بحر ، وعلم من فوقه نار ، الخ .

ويجب أن تكون لنا غاية أخلاقية فى تعليم اللغة العربية الى جنب الغاية الثقافية وهى تعويد التلميذ القراءة حتى تعود حاجة ملحة فى نفسه لا يستطيع الاستغناء عنها طيلة عمره . ولهذا يجب أن تكون لديه مئات من الكتب التى تبسط له المعارف البشرية فى عبارة مقتصدة تفتح له افاقاً جديدة فى كل عام من أعوام دراسته فتثير استطلاعه وتحمله على البحث والتساؤل . ولهذا السبب يجب أن تتناول كتب المطالعة — فى المدرسة والبيت — موضوعات البيولوجية والاجتماع والتراجم والكيمياء والفلكيات والاقتصاد والصناعة. والمألوف فى الوقت الحاضر أن تحتوى كتب المطالعة للاقسام الثانوية مقطوعات أدبية من كتب العرب قبل الف او خمسمئة سنة . ولكن هذه الكتب لا تثير الاستطلاع ولا تحمل التلميذ على التساؤل والبحث والدراسة الذاتية ولا تعوده القراءة بعد أن يترك المدرسة بل حتى بعد أن يترك الجامعة . ولذلك يجب أن تؤلف الكتب الجديدة فى المعارف العصرية التى تستفز التلميذ الى البحث .

وهنا يجب أن نذكر حادثاً له قيمته هنا . فقد حدث أن قصد فوج من طلبة إحدى الجامعات فى الولايات المتحدة الى المانيا للتعلم . وكان منهم من شاء التخصص فى اللغة والادب ومن قصد الى التخصص فى العلوم كالكيمياء أو البيولوجية أو الطبيعيات . فبعد عام من الدراسة اتضح ان الذين قضوا عامهم فى دراسة اللغة والادب بالذات لم يحسنوا تعلم هذه اللغة ، لا كلاماً ولا كتابة ، كما أحسنها أولئك الآخرون الذين قضوا عامهم فى دراسة الكيمياء والبيولوجية والطبيعيات . وذلك لأن الفريق الاول قضى وقته فى دراسة نحو اللغة وبلاغتها فى حين ان الآخرين قصدوا الى مادة علمية درسوها بالالمانية فأتقنوا اللغة عن سبيل دراسة هذه المادة .

ويجب أن نسترشد نحن بهذا المثل فى تعليم اللغة العربية . فاننا نحسن تعلمها بقراءة الكتب التى تختلف موضوعاتها . لأن هذا الاختلاف فى الموضوعات يخصب الذهن تفكيراً وفهماً كما انه يوفر للتلميذ مئات الكلمات التى تثير استطلاعه وتفهمه فيستزيد من القراءة ويستنير ويعرف اللغة . بل يعرفها هذه المعرفة المتفاعلة المتجددة مع مجتمعه وعلومه وفنونه . أما اذا قصرناه على دراسة القواعد النحوية والبلاغية وكتب الادب القديم فانه يزهد ويقل استطلاعه أو ينعدم لأنه يجد انه قد تعب فى استظهار كلمات لا تتفاعل مع مجتمعه وعلومه وفنونه

قلنا انه يجب أن تكون لنا غاية أخلاقية فى تعليم اللغة العربية هى تعويد التلميذ القراءة بحيث لا يستطيع الكف عنها طيلة حياته . وغاية أخرى تتوخاها هى تكوين شخصيته بالمناقشة والخطابة . ولا نعنى بالخطابة تلك الحركات المنبرية البهلوانية التى تعتمد على قوة الذراعين والحنجرة أكثر مما تعتمد على الفهم والتمييز . وانما نعنى أن نكثر من الموضوعات التى يطالعها التلاميذ مع المعلم فتنشأ المناقشة المنيرة التى يتعلم منها التلميذ كيف يناقش وينتقد .

واذن يجب على معلم اللغة العربية فى مدارسنا الابتدائية والثانوية أن يكون موسوعى المعارف يستطيع الشرح للموضوعات الاجتماعية والبيولوجية والسيكولوجية والتاريخية والفلكية . وعليه أيضًا ان يعرف على الأقل لغة أجنبية أو لغتين كي يقارن بين العربية وبينهما ويجدد فى لغتنا بمقدار انتفاعه من الجديد فيهما . وانه لزهو مضحك أن يعتقد أحدنا أن لغتنا تستطيع أن تعيش مستكفية لا تستمد التعبير الحسن من الانجليزية أو الفرنسية وان عليها أن تجتر نفسها دون أن تتزود من المعارف العصرية . وهذا الاعتقاد من أكبر الاسباب للفاقة الثقافية التى نعانيها فى وقتنا .

# الخط اللاتينى

اذا كان الأساتذة والطلبة فى كلية الآداب فى الجامعة أو فى دار العلوم أو فى كلية اللغة العربية راضين عن اللغة العربية فرضاؤهم يمكن أن يعلل ويفسر من الناحية الاقتصادية الاجتماعية ولكنه لا يفسر من الناحية الثقافية . لأن هذه اللغة لا ترضى رجلاً مثقفًا فى العصر الحاضر إذ هي لا تخدم الأمة ولا ترقيها لأنها تعجز عن نقل نحو مئة علم من العلوم التى تصوغ المستقبل وتكيفه . .

وهذا السخط الذى يتولانا كلما فكرنا فى حالنا الثقافية وتعطيل هذه اللغة لنا عن الرقى الثقافى تزيد حدته كلما فكرنا ، وأدى بنا التفكير ، الى اليقين بأن اصلاحها مستطاع .

والقلق عام ولكن الجبن عن الابتكار أعم . ولذلك قلما نجد الشجاعة للدعوة الى الاصلاح الجرىء الا فى رجال نابهين لا يبالون الجهلة والحمق . مثل قاسم أمين أو أحمد أمين حين يدعو كلاهما الى الغاء الاعراب ، أو مثل عبد العزيز فهمى حين يدعو الى الخط اللاتينى .

والواقع أن اقتراح الخط اللاتينى هو وثبة الى المستقبل لو أننا عملنا به لاستطعنا أن ننقل مصر الى مقام تركيا التى أغلق عليها هذا الخط أبواب ماضيها وفتح لها أبواب مستقبلها .

واقتراح عبد العزيز فهمى يحتاج أولاً الى العمل بالغاء الاعراب الذى

تعلمناه ولكن لم نعمل به قط . وإلغاؤه يجعل الهجاء العربى فى الخط اللاتينى سهلا . ثم هو يغنينا عن وضع الحركات فى أعلى وأسفل الكلمة لأن الحركات فى الخط اللاتينى حروف تدخل فى صلب الكلمة .

ولننظر فى بعض الميزات التى للخط اللاتينى .

١ — فأول ذلك أننا نقترب نحو التوحيد البشرى . فان هذا الخط هو وسيلة القراءة والكتابة عند المتمدنين الذين يملكون الصناعة أى العلم والقوة والمستقبل . وهذا الخط تأخذ به الأمم التى ترغب فى التجدد كما فعلت تركيا . ومن المرجح أن يعم هذا الخط العالم كله قريباً .

٢ — حين نصطنع الخط اللاتينى يزول هذا الانفصال النفسى الذى أحدثته هاتان الكلمتان المشئومتان « شرق وغرب » فلا تتعير من أن نعيش المعيشة العصرية . ولا بد أن يجر هذا الخط فى أثره كثيراً من ضروب الاصلاح الأخرى ، مثل المساواة الاقتصادية بين الجنسين ، ومثل التفكير العلمى ، ومثل العقلية بل النفسية العلمية ، الخ .

٣ — يمتاز الأوربيون بقدرتهم على ايجاد المعانى الجديدة بالصاق مقاطع مشتقة من اللغتين الاغريقية واللاتينية فيخلقون المعنى الجديد من الكلمة القديمة . ونحن ننتفع بهذه المقاطع إذا أخذنا بهذا الخط ولا يمكن ان نستعمل هذه المقاطع ما دام الخط بالحرف العربى .

٤ — والكلمات العلمية التى تقف عقبة شاقة فى لغتنا تغدو سهلة الاستعمال بالخط اللاتينى .

٥ — ثم يجب ألا ننسى أن الخط اللاتينى لا يكلفنا فى تعلمه عشر الوقت الذى نقضيه فى تعلم الخط العربى بل ربما أقل .

٦ — وعند ما نكتب لغتنا بالخط اللاتينى نجد أن تعلم اللغات الأوربية قد سهل أيضًا فتنفتح لنا آفاق هى الآن مغلقة .

وبالجملة نستطيع أن نقول أن اتخاذ الخط اللاتينى هو وثبة فى النور نحو المستقبل . . . . ولكن هل العناصر التى تنتفع ببقاء الخط العربي والتقاليد ترضى بهذه الوثبة ؟

إذا فرضنا أن صبيين فى سن واحـدة شرعًا يتعلمان ، أحدهما الانجليزية والآخر العربية ، دون أن يكون لأحدهما معرفة سابقة باللغة التى سيتعلمها ، فان الصبي الذى سيتعلم الانجليزية لا يحتاج لأكثر من ستة أشهر كي يتكلم ويقرأ ويكتب هذه اللغة على طريقة أوجدين . أما الصبي الذي سيتعلم العربية فانه يحتاج إلى ما لا يقلّ عن أربع سنوات . أى أن الوقت الذى يقضيـه المتعلم للغة العربية يزيد ثمانية أمثال على ما يقضيه المتعلم للغة الانجليزية .

وكي نفهم هـذا الفرق يجب أن نذكر بعض العقبات التى سيلاقيها متعلم العربية ولا يلاقى مثلها متعلم الانجليزية . فأول ذلك أن حروف الكتابة تزيد عندنا على مئة حرف . لأن لكل حرف شكلا معينًا يتبع موقعه فى أول الكلمة أو وسطها أو آخرها . أما فى الانجليزية فالحرف لا يتغير بتغير موقعه فى الكلمة .

وفى لغتنا يجب أن نميز الجنس فنعرف أن الكرسى مذكر والحرب مؤنثة . أما الانجليزية فلغة غير جنسية .

ومتعلم الانجليزية يعرف أن الواحد مفرد وما زاد عليـه فجمع أما متعلم العربية فيجب أن يعرف أن ما زاد على واحد قد يكون اثنين فهو ليس مفردا ولا جمعًا . بل هو صيغة خاصة تحتاج إلى قواعد خاصة . وقد كانت صيغة المثنى قائمة فى الانجليزية ولكنها ألغيت . والصبي الذى يتعلم الانجليزية يستطيع أن

يعبر عن العـــدد من واحد إلى ألف بسهولة أما فى العربية فالصبي يحتاج إلى شهور لـكى يدرس قواعد العـــدد . وصبياننا فى المدارس الثانوية يعدون بالفرنسية والانجليزية ولا يعرفون كيف يعدون بالعربية للمشقة التى يلاقون فى قواعد العدد .

والصبى فى الانجليزية يجد قاعدة واحـدة للجمع مع شواذ قليلة جـداً لا يؤبه بها . أما فى العربية فعندنا من جمع التـكسير قواعد لا تحصى . بل يكاد أن تـكون لـكل كلمة قاعدة . والمعرفة التامة لجمع التـكسير تحتاج إلى العمر كله ولو كان مئة سنة .

وكل كلمة انجليزية آخرها سكون . ولـكن الاعراب فى لغتنا هو لعبـــة بهلوانية للذهن واللسان . ولن نحسنها إلا بعد أن نربي عضلات قوية تستجيب بسرعة . وكثيراً ما رأينا أن القارئ الذي يلتفت إلى الاعراب لا يفهم مايقرأ وهو يعرب .

ومشكلة الهمزة فى لغتنا ليس لها نظير في اللغة الانجليزية كما اننا يجب أن نعرف الفرق بين الألف المقصورة والألف الممدودة . والمتعلم للانجليزية لا يجد مثل هذه المشقات .

وأكثر من ذلك حركات الحروف فى الـكلمة الواحدة التى ربمـا تتألف من ثلاثة حروف ولـكن يمكن أن تنطق على اثنى عشر شكلا مختلفاً . وهذا الاختلاف يحتاج — مثل جمع التـكسير — إلى العمر كله ولو كان مئة سنة كي نحفظ لـكل كلمة شكلها . أما الذى يتعلم الانجليزية فلا يحتاج إلى هـذا لأن الحركات قد صارت حروفاً في صلب الـكلمة .

وهناك قواعد أخر للمترفين في اللغة كالتنوين والتصغير يحتاج الذي يتعلم العربية إلى شهور لدرسهما ، أما متعلم الانجليزية فلا يحتاج إلى شئ من هذا .

ثم يجب ألا ننسى بعد كل هذه المصاعب ان الصبي الذى يتعلم الانجليزية سيجد ان ما تعلمه يخدمه فى الكلام والكتابة . ولكن الصبى الذي تعلم العربية يحتاج إلى أن يعرف اللغة الدارجة للكلام ثم اللغة الفصحى للكتابة . وهذا مجهود آخر .

والذى نلاحظه فى مصر ان الذى يلتفت إلى اللغة العربية ويستوفى قواعدها دراسة يحتاج إلى العمر كله . فلا يجد الوقت لأية دراسة أخرى إلى جنب اللغة .

وليست اللغة سوى وسيلة للفهم والدرس . فاذا كانت تحتاج إلى السنوات الطويلة لدراستها فان هذه السنوات محسوبة علينا وهى مقتطعة من الوقت الذى كان يمكن ان نرصده لدراسة الجغرافية والتاريخ والأدب والجيولوجية والفلكيات والطبيعيات والكيمياء الخ . وذلك المسكين الذي يقضى عمره في دراسة اللغة دون غيرها إنما هو بمثابة ذلك الذي يكدّ طيلة عمره لشراء آلة للغزل أو النسج حتى إذا اشتراها لم يغزل ولم ينسج . لأن اللغة آلة ولا يمكن أن نفرح باقتناء الآلة ما لم نستخدمها .

واذن يجب أن تكون الغاية من دراسة اللغة التعبير عن الجيولوجية والفلكيات والطبيعيات والكيمياء الخ . أما إذا كانت دراستها لا تؤدي هذه الغاية فهى عقيمة . وهى لن تؤديها ما دامت كثيرة القواعد والشذوذات وما دامت تحتاج إلى السنين الطويلة والجهد العظيم لدراستها ، لأن هذه السنين الطويلة وهذا الجهد العظيم يجب أن ننفقهما فى دراسة هذا الكوكب ، ناسه ، وحيوانه ، ونباته ، وموادّه ، وحضارته ، وعلومه ، وآدابه ، ومستقبله .

وإذا كان أوجدين قد احتاج إلى ١٨ فعلا فقط لكي يصل إلى التعبير عن الحاجات المألوفة في اللغة الانجليزية فاننا يجب ألا نفخر بأن عندنا عشرة

آلاف فعل . لأن هذه الكثرة ليست وفرة الثراء وإنما هي زحمة واختلاط .

واذن يجب أن تتجه نحو التيسير لا التعسير في تعليم اللغة العربية ، نقنع بأقل ما يمكن من القواعد ونرفض كل ما يمكن من الشذوذات ، ونختار من هذه الألوف من الكلمات نحو ألف كلمة للتعبير الدقيق في العلم والأدب والفلسفة . ونؤلف بهذه الكلمات كتباً لصبياننا في المدارس الابتدائية والثانوية . ثم نرتقي من هذه الألف من الكلمات إلى غيرها ولكن مع الحرص على أن تتجنب الكلمات السائبة التي يغمض معناها لأنها تضلل بدلا من أن ترشد .

وربما يكون من الحسن أن نميز بين القارىء والكاتب في تعلم اللغة العربية . فاذا كانت الغاية من التعلم هي القراءة فقط فاننا نستطيع أن نصل إلى ذلك بلا قواعد نحوية . وجمهور الأمة يقرأ ولا يكتب . ثم نقصر تعلم القواعد — بعد التيسير — على الذين سيكتبونها .

وليس لهذا التمييز شبيه في لغات العالم المتمدن ولكن لغتنا شاذة في صعوبتها وتحتاج إلى إجراء شاذ .

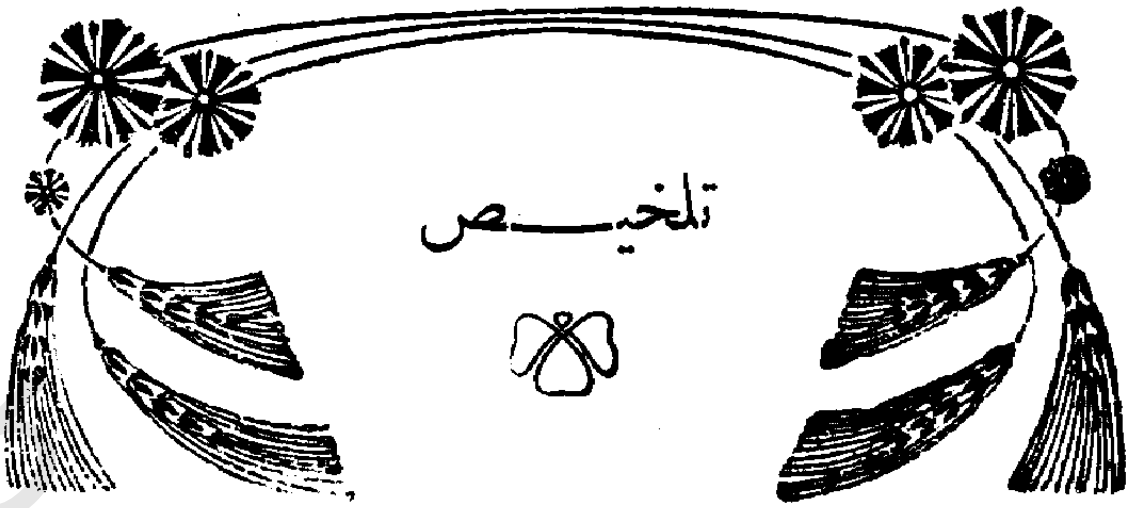

# تلخيـــص

سبق أن قلت أن الذي بعثني على تأليف هـذه الرسالة أو هذا الـكتيب هو مقال نشره الأستاذ أحمد أمين في مجلة الثقافة بشأن ما يطرأ على الـكلمات من تغيير لاختلاف الزمان أو المـكان اللذين تستعمل فيهما . وأرجو القارئ أن يعرف أن ما كتبته هو بمثابة التعقيب أو الشرح ( الذي قد لايرضاه أحمد أمين ) لهذا المقال . وغايتي قبل كل شيء المناقشة حتى نصل إلى تمحيص جديد لمعاني الـكلمات واستخدام هـذه الـكلمات في بلاغة جديدة للفهم السديد .

ومع أن ما سبق إنمـا هو تلخيص ، فاني أعتقد أن القارئ يحتاج هنا إلى تلخيص التلخيص ، حتى تبرز الأعلام الهامة لهذا الموضوع :

١ — يجب أن نـكبر من شأن لغتنا العربيـة وأن نوليها أعظم اهتمامنا لأنها وسيلة التفـكير . ولا يمكن التفـكير الحسن بلا لغة حسنة .

٢ — كان فن البلاغة العربية، ولا يزال إلى الآن، فن التعبير عن العاطفة والانفعال . ونحن لا نفـكر ، حين ننفعل أو نستسلم للعاطفة ، التفـكير الحسن . ولذلك فان هذا الفن لا يخدم التفـكير العلمي والفلسفي .

٣ — المجتمع الحسن هو الذي يقوم على العقل وحل المشكلات بالمنطق . فنحن في حاجـة إلى بلاغة جديدة تؤدي إلى دقة الفهم العلمي لإيجاد مجتمع علمي ، بلاغة تميز بين الـكلمة الذاتية وبين الـكلمة الموضوعية .

٤ — اللغة هي تراث قديم تحمل كلماتها معاني الحياة البدائية ( الحياة من الحيا والروح من الريح ) أو تحمل معاني السحر ( علا نجمه وأفل نجمه ) بل هي حافلة بأحافير ورواسب يجب أن نتوقى استعمالها إذا شئنا التفكير السديد .

٥ — كان المجتمع العربي القديم يستند إلى العقائد والتقاليد وكان مجتمعاً حربياً يحتاج إلى لغة العواطف والانفعالات التي تحرك الارادة ولذلك أصبحت بلاغته كذلك . وهي لهذا السبب صغيرة القيمة في خدمة مجتمعنا الذي نحاول أن نجعله يسير على مبادئ المنطق والعقل والعلم .

٦ — داء الأدب واللغة عندنا هو الكلاسية أي التليدية وهي تؤدي عندنا إلى محاولة استرداد الأمس بالتعبير والتفكير .

٧ — المبالغة في هذه الكلاسية تؤدي الى تحجر اللغة كأنها لغة الكهنة في المعابد فتنقطع الصلة بينها وبين المجتمع .

٨ — في لغتنا كلمات تحمل شحنات عاطفية سيئة تؤدي إلى ارتكاب الجرائم ( الدم والعرض في الصعيد ) أو إلى كراهة بعضنا بعضاً ( كافر . نجس ) والكلمات الجنسية التي تؤدي إلى خيالات الحشاشين . وعلينا أن نقي عقولنا من هذه الكلمات .

٩ — للكلمة إيحاء اجتماعي للخير أو للشر . فيجب أن نستغل اللغة للتوجيه الحسن للأمة والفرد . والبلاغة القديمة ـ بلاغة العاطفة والانفعال ـ مفيدة هنا للتوجيه الاجتماعي الحسن . ولكن مع الحذر العظيم من الدعاية السيئة .

١٠ — لن نستطيع الانتفاع بذكائنا إلا إذا كانت اللغة ذكية أيضاً أي تؤدي المعاني الدقيقة في العلوم والفلسفات . ومن هنا ضرورة العناية بتمحيص

المعاني حتى نمنع الالتباس . ولهذا تجب مقاطعة المترادفات والمتشابهات ( مثل بلدة للمدينة وبلد للقطر ) .

١١ — الكلمات الحسنة في اللغة الحسنة تبنى الأخلاق حتى ليصح أن نعد الكلمة شعاراً ننضوي إليه كما لو كان راية في جهاد . وعندنا من كلمات المروءة والشهامة والبر والحرية وأمثالها ما نبنى به المجتمع الحسن .

١٢ — علينا أن نزيد فى لغتنا مثل هذه الكلمات بحيث تخدم تطورنا العصري فنؤلف الكلمات التى توحى الرقى وزيادة الصحة والسعادة والنور والثقافة .

١٣ — والبلاغة الجديدة هى بلاغة المنطق الذي يرشدنا إلى توقى الخطأ . والتفكير السديد هو التفكير العلمى الموضوعى الذي يقوم على التجربة . واللغة الحسنة هى التى تؤدي المعنى في دقة هندسية ووضوح اقليدي .

١٤ — قد نشأت فى عصرنا الحديث لغتان جديدتان إحداهما لغة العلوم فيجب أن نأخذ كلماتها جميعها بلا ترجمة . ولغة كوكبية أخرى ينطق بها كل متمدن فى الدنيا مثل التليفون والتلغراف والسينماتوغراف والراديوفون فيجب ألا نقاطعها لأنها لغة كوكبية جديدة لا تملكها أمة دون أخرى .

١٥ — كل إنسان متمدن يجب أن يتعلم ثلاث لغات : لغته الأصلية التى تعلمها من أمه ، ولغة العلوم التى تكتب بها الجيولوجية واليوجنية والفسيولوجية والكيمياء الخ . ولغة هذا الكوكب كما ترى فى كلمات كوكبية تنشرها الجرائد والكتب .

١٦ — يجب أن نستبصر بحركة الأستاذ اوجدين فى الايجاز والتبسيط باختيار الكلمات المحكمة التى لا تتحمل الشكوك فى معانيها وأن نيسر تعليم اللغة العربية للعربي وللأجنبي .

١٧ — لغتنا العربية كثيرة القواعد والشذوذات والكلمات المترادفة أو المشتبهة وهى تحتاج من الوقت لتعلمها نحو ثمانية أوعشرة أمثال الوقت الذي تحتاجه اللغة الانجليزية . فيجب أن تتجه نحو تيسيرها بالاقلال من القواعد والشذوذات بل والكلمات .

١٨ — اتخاذ الخط اللاتينى يحمل الأمة إلى الامام مئات السنين ويكسبها عقلية المتمدنين ويجعل دراسة العلوم سهلة . وهو خطوة نحو الاتحاد البشرى .

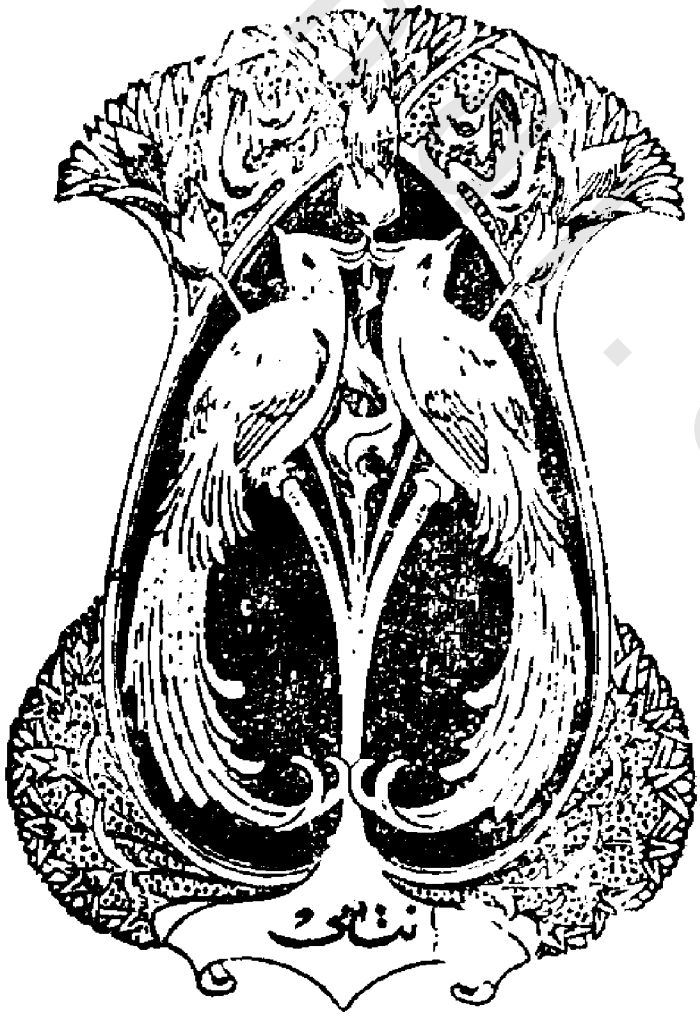

# فهرس


| | صفحة |
|---|---|
| كلمات مقتبسة | ب |
| الاهداء | ج |
| المقدمة | د |
| تمهيد | ١ |
| اللغة والتطور البشرى | ٤ |
| حين تربى الذئبة الانسان | ٧ |
| الاثربولوجية واللغة العربية | ١١ |
| اللغة والسيكلوجية | ١٥ |
| البيئة واللغة | ١٨ |
| اللغة والمجتمع | ٢٢ |
| الاحافير اللغوية | ٢٥ |
| ضرر اللغة | ٢٨ |
| ضرر اللغة أيضاً | ٣٢ |
| اللغة والجنون والاجرام | ٣٤ |
| الكلمة الموضوعية والكلمة الذاتية | ٤٠ |
| احدى الكلمات | ٤٣ |
| اللغة القديمة واللغة العصرية | ٤٦ |
| المجتمع العربى القديم | ٤٩ |
| الكلاسية داء الادب العربى | ٥٢ |
| الايحاء الاجتماعى للكلمة | ٥٦ |
| الاقوال افعال | ٦٠ |
| الذكاء واللغة | ٦٣ |
| كلمات تبنى الاخلاق | ٦٦ |
| الكلمة شعار | ٦٩ |
| فن البلاغة | ٧٢ |
| اللغة العصرية | ٧٦ |
| كلمات كوكبية | ٧٩ |
| القدرة على اصطناع الكلمات الاجنبية | ٨٤ |
| اوجدين واللغة الاساسية | ٨٧ |
| التفسير الاقتصادى | ٩٢ |
| اللغة العربية فى مدارسنا | ٩٥ |
| الخط اللاتينى | ٩٩ |
| التيسير . التيسير | ١٠٢ |
| تلخيص | ١٠٦ |
| فهرست | ١١٠ |


obeikandl.com

# مؤلفات اخرى

## للأستاذ سلامه موسى

الشخصية الناصعة

فن الحب والحياة

محاولات سيكلوجية

التثقيف الذاتى أو كيف نربى أنفسنا

نظرية التطور وأصل الانسان

مصر اصل الحضارة

الادب الانجليزى الحديث

طريق المجد للشباب

كيف نسوس حياتنا بعد الخمسين

obeikandl.com

# سلسلة المطبوعات العصرية

تطلب من المطبعة العصرية - بمصر ( ص . ب ٩٥٤ )

القاموس العصرى الكليزى عربى
« « عربى الكليزى
« المدرسى عربى الكليزى وبالعكس
المعجم العصرى عربى فرنسى
قاموس الجيب الكليزى عربى
قاموس الجيب عربى الكليزى
قاموس الجيب الكليزى عربى وبالعكس
القاموس المدرسى فرنسى عربى
قاموس اللغة العربية الدارجة الكليزى عربى
الهدية السنية لطلاب الانكليزية
التحفة المصرية لطلاب الانكليزية
حكايات للاطفال ٤ أجزاء ( كامل كيلانى )
قصص جغرافية للاطفال جزآن ( « )
مراجعات فى الادب والفنون ( للعقاد )
روح الاشتراكية ( لفوستاف لوبون )
روح السياسة « «
أصول الحقوق الدستورية ( لابسمن )
الحضارة المصرية ( لفوستاف لوبون )
الحركة الاشتراكية ( لرمزى مكدونلد )
ملقى السبيل فى مذهب النشوء والارتقاء
البلاغة العصرية واللغة العربية (لسلامه موسى)
الادب الانكليزى الحديث « «
طريق المجد « «
كيف نسوس حياتنا بعد الخمسين « «
مصر أصل الحضارة « «
أنالول فرانس فى مباذله ( فكيب ارسلان )
الدنيا فى اميركا للاستاذ ( أمير بقطر )
حضارة مصر الحديثة ، لزعماء الثقافة المصرية
حضارة بابل واشور
اسرار الحياة الزوجية ( ن . ح )
جمهورية افلاطون ، طبعة ثانية
أحاديث روسية ، الياس الطون الياس
خواطر حمار (للمرحوم الاستاذ حسين الجمل)

حصاد الهشيم (للفقيد الادب الاستاذ المازنى)
قبض الريح « « « «
لسمات وزوابع ، شعر منثور ( مصور )
التعليم والصحة للدكتور محمد عبد الحميد
مركز المرأة فى شريعتى موسى وحمورابى
المرأة الحديثة وكيف نسوسها لعبدالله حسين
تذكرة الكاتب ، لتقويم الاخطاء اللغوية
الضعف التناسلى للمرحوم الدكتور فخرى
الامراض التناسلية وعلاجها «
يسوع ابن الانسان ( لجبران جبران )
النبى « «
المجنون « «
رمل وزبد « «
كلمات جبران «
السابق « «
مراقى النجاح ( الارشمندريت بشير )
آراء حرة ( دكتور طه حسين بك وآخرين )
رواية لابيس ترجمة احمد الصاوى، لانالول فرانس
« الزنبقة الحمراء « « « «
« مكايد الحب فى قصور الملوك ، أسعد داغر
« القصص العصرية ( ٧٠ قصة مصورة )
« مسارح الاذهان ( ٣٥ قصة مصورة )
« أهوال الاستبداد ( خليل بيدس )
« الانتقام العذب ( أسعد خليل داغر )
« روكامبول ١٧ جزء (طانيوس عبده)
« أم روكامبول ٥ أجزاء « «
« باريزيت ، مصورة ( توفيق عبد الله )
« غرام الراهب «
« دار العجائب ( لنقولا رزق الله )
« الغلامان الطريدان «
« فدية الشرف «
« حورية (طبعة ثالثة)
« فاتنة المهدى أو استعادة السودان -

( بقية قائمة مطبوعات المطبعة العصرية ترسل مجاناً لمن يطلبها )

obeikandl.com